

الحياة الفكرية

في ضوء

الفلسفة الإسلامية

مكتبة

الدكتور القبطي محمد القبطي طبلية

محمد عبد قبطي شارع محمد قبطي

المعادى

تأليف

الدكتور حسن الفلاح قريباً لله

عميد كلية الآداب (حالياً)

وعميد الطلاب ورئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية

ومدير جامعة أم درمان الإسلامية بالانابة (سابقاً)

مطبعة الفاتنية

٣ شارع جنديرة بدران سبرا - مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل

الفلسفة والحياة

يظن كثير من الناس أن الفلسفة ضرب من ضروب البذخ الذهني ،
ونمط من أنماط الموقف السلبي تجاه القضايا والمشاكل الاجتماعية .

كما يظن هؤلاء — تبعاً لذلك — أن الفيلسوف رجل انغزالي
لا يحس بمشاكل أمته ولا يتفاعل مع قضاياها؛ ذلك لأن بوتقة الأسباب
والبراهين التي أدخل نفسه فيها لا تسمح له بأن يتخذ موقفاً إيجابياً
سريعاً تجاه ماتمانيه أمته من صعاب في حياتها اليومية : فهو عندهم
— إذن — رجل متنخلف اجتماعياً وإن تقدم فكراً . ويضيف هؤلاء
أن الفلاسفة قوم حاملون يعيشون في عالم خاص بهم ، لا يمت بصلة إلى
الحياة والواقع^(١) .

هذا ولم يدر هؤلاء أنهم يمثل هذا النوع من الاتهام إماماً سلبون
الفلسفة أهم خصائصها ويجرون الفيلسوف إلى هاوية الجهالة .

فالبحث في الفلسفة هو أولاً وقبل كل شيء موقف من الحياة ، وهو

(١) الدكتور يحيى هويدى : مقدمة في الفلسفة العامة — القاهرة ، الطبعة السادسة
دار النهضة العربية ١٩٧٠ م ص ٢٤ ، والدكتور سميد اسماعيل على : الفلسفة القاهرة
١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م الصفحات ٤٥ ، ٥٨ ، ٧١ ، ويرتراندرسل : مشاكل
الفلسفة ص ١٥٦ ، وموسيه : الفلسفة النظرية ، ترجمة نعمة الله كرم ص ٦٠ — ٦١ ،
والدكتور محمد فتحي الشنيطى : المعرفة ص ١٧ ، ٣١

يمثل أحد مستويات تفكير الانسان في هذه الحياة ، ومن ثم فإن الفلسفة ليست ولا يمكن أن تكون مجال من الأبحاث تحليقا بعيداً عن الحياة ، بل هي أشغال فيها وتعميق لها واكتشاف لأبعادها .

والفلسفة في مسارها الفكري لم تحبش أن تهتمت عن واقع الأمم إلا بالتدريج الذي تجعل فيه من جزئيات القضايا والمشاكل اليومية مبادئ عامة ، وأصولاً كلية ، تساعد على فهم المشكلة في إطارها العام ، وتمكن الفيلسوف من أن يضع الحل المناسب للمشكلة وفق التصور العام للجزئيات المماثلة والقضايا المشابهة .

فنظرة الفلسفة — إذن — للمشاكل والقضايا اليومية نظرة كلية ، تترفع عن الجزئيات وإن اتخذت من مجموعها أساساً لبحثها وموضوعاً لدراستها ، ذلك أن المشاكل التي تلتقي بها الفلسفة في مسارها مشاكل معقدة في جزئياتها وخصوصيتها ، وهي من الكثرة والتنوع بحيث تشغل وقت الفرد وتلف تفكيره في إسارها الضيق ، فلا يجد مناصاً من أن يستسلم لتيارها الذي لا يهدأ وأمواجها التي لا تنقطع .

وليس من شك في أن الاستغراق في حل هذه الأشكلات من المشاكل الجزئية من شأنه أن ينسج حول الإنسان غشاوة تحجب عنه الرؤية ، وتضييق أفق حياته ، وتحد من مسار تفكيره ، بحيث يصبح تفكيره قاصراً عليها ، ونظيره محدوداً فيها ، الأمر الذي يبعده عن صفة الكلية التي تمثل الحكمة النظرية — إلى صفة الجزئية التي تمثل الحكمة العملية^(١)

(١) الدكتور مجدى هويدى : الفلسفة النظامية ص ٢٣ ، ٢٤ .

والحكمة العملية كما هو معلوم لاتعى شيئاً سوى حسن التصرف ،
أما الحكمة النظرية فهي حكمة طابعها التأويل والبحث النظرى والنظرة
السامة للحياة^(١) .

وباختصار فإن الفلسفة الكامية أو الحكمة النظرية تحاول أن تقيم
بناء تركيبيا عن طبيعة الواقع ، وعن معنى الحياة وهدفها ، وعن أصل
الكون ، كما أنها تقيم بناء آخر عن الإنسان ومعنى الحياة البشرية
وهدفها وحرية الإرادة والأخلاق . . الخ . . أى صورة تركيبية للعالم
الكبير (الكون) من ناحية ، وللعالم الصغير (الانسان) من الناحية
الأخرى . ثم عن العلاقة بينهما بحيث تقدم لنا نظرية عن الوجود ككل
أو الوجود بما هو كذلك^(٢) .

(١) د . هويدى : مقدمة الفلسفة العامة ص ٢٢ .

(٢) الدكتور إمام عبد الفتاح إمام : مدخل إلى الفلسفة . القاهرة ، الطبعة الثالثة ، دار

الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٥ — الصفحات ٦٣ ، ٦٤ .

الباب الأول
تاريخ الحياة العقلية
أو
(نشأة التفكير)

الفصل الأول

- ١ - التفكير .
- ٢ - العقل .
- ٣ - نشأة التفكير .

١ - التفكير

التفكير سلسلة متصلة وعمل عقلي يمثل ناتجه تراثاً حضارياً يخلفه السابق لللاحق ، إنه في مجموعه أشبه مايكون بكتاب تاريخي تمثل كل لحظة من الزمن صفحة من صفحاته أو فقرة من فقراته ، تسكمل بها السابقة وتبنى عليها اللاحقة . لقد أسهم كل فرد من بني الإنسان فيه بمجده ، وسجل في سطور حياته العقلية ، فهو إذن سجل كامل أو في طريق السكمال لتاريخ الإنسان الفكري والحضارى^(١) ، ومن ثم فإن الباحث في تاريخ الحياة العقلية لا بد أن يأخذ في الاعتبار كل لحظة من اللحظات التي مر بها تاريخ الإنسان لا في بيئة معينة ، ولا بين أفراد شعب واحد ، بل في جميع البيئات وبين جميع الشعوب ، إذ الفكر الفلسفي غير الحادث التاريخي . . ولئن جاز أن تطلق (المدافع) أو (يقص الشريط) إيدانا ببدء حادث تاريخي معين فإنه لن يحدث ذلك في مجال الفكر أو العقل^(٢) .

٢ - العقل

لقد وجد العقل مع الإنسان ، وبقي هو هو في جوهره ، استعمله الأمم في المضى السحيق ، فاستحدثت الصناعات والعلوم والفنون ،

(١) أس، رابوبرت : مبادئ الفلسفة. ترجمة أحمد أمين ص ٩٣ ، والدكتور ٤٦٠ حى الشنيطى : المعروفة ص ٥ .

(٢) ٥ . إمام عبد الفتاح : مدخل إلى الفلسفة. هامش ص ٣٥ .

ولقنتها لليونان فأغنثهم عن بذل الجهد والوقت في استكشافها بأنفسهم
وفضلاً عن الفنون والعلوم نجد عند الأمم الشرقية القديمة قصصاً دينية
وأفكاراً عن العالم والحياة إذا اعتبرنا موضوعها ومغزاها رأيناها
حقيقة بأن تسمى فلسفية ، فقد نظروا في أسئمة المسائل ، مثل الوجود ،
والتغير ، والخير ، والشر ، والأصل والمصدر ، فكان التوحيد والشرك ،
وكانت الثنائية الفارسية ، وكانت وحدة الوجود عند الهنود ، وكان
غير ذلك ، ولم تخرج الفلسفة فيما بعد عن هذه النظريات الكبرى ، بل
قد نستطيع أن نجد لكل فكرة يونانية مثيلة نرقية تقدمتها ، أو أصلاً
قد نكون «بقت منه» .^(١)

٣ - نشأة الشكر

واعتماداً على ما تقدم وبناء على ما قاله أرسطو من أن السكال مبدأ
وليس نتيجة فإنه لمن خطل الرأي أن نناق وراء من يسلمون إنسان
ما قبل طاليس فـكـره وفلسفته وعبقريته ونبوغته وابتكاره، ليردوه بدافع
الهوى والعصبية والشعوبية إلى شعب معين وبيئة خاصة ، وايصروه في
زمن لا يتعدى القرن السادس قبل الميلاد .

إن البشرية كلها - الشاملة لجماعاتها المتفرقة - شريكة في كل
ما يصدر عن بعضها من حضارات ومدنيات ، ولكل واحدة من هذه
الجماعات البشرية ضلع ومساهمة في هذه الثروة الهامة .

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مقدمة .

والجماعة التي تسكون في وقت من الأوقات آخذة لا بد أنها كانت في وقت من الأوقات معطية ، ومن يزعم غير ذلك فعليه بتصنيفه الحساب وما هو مستطيع . وإن طالبنا هو بتصنيفه حساب ما ندعى قد لبنا على ما وقع في عصور ما قبل التاريخ ما هو واقع في عصور التاريخ^(١) .

على أننا لا ننكر ولا ننفي أن بعض الشعوب لاعتبارات وملايسات خاصة قد تسبق البعض الآخر فكوريا أو اجتماعيا أو اقتصاديا مثلها في ذلك مثل سبق بعض الأفراد لبعضهم في نظم الحياة ووسائل العيش ومناهج البحث والتفكير ، غير أن تقرير ذلك لا يعني أن أصل الفطرة هو السب في التفوق . فليس هناك شعب متفوق لأنه من جنس أبيض ولا هو منحط لأنه من جنس أسود^(٢) ، كما ينحدر بعض الكتاب في تكبيرهم حين يتخيلون ذلك ، كما أنه ليس هناك شعب آرى تؤهله طبيعته لدراسة الفلسفة وآخر ساهى لس أهلا لدراستها وفهمها^(٣) ، فالشعوب كلها متساوية في أهليتها للمعرفة والفلسفة، كما هي متساوية في قدرتها على الاستجابة للظروف المختلفة التي تجابهها اختيارا أو تضطر لمجاهتها قسراً وكرها .

والعقل الذي منحه أفراد شعب معين هو نفس العقل الذي منحه أفراد الشعب الآخر ، هذا ولئن كانت الفلسفة هي شوق وجد وراء معرفة الأسباب الخفية للأشياء^(٤) ولئن كان العقل هو أداة تلك المعرفة

(١) د . سلمان دنيا : التمكير الفلسفى الاسلامى ص ٢٨٦

(٢) جرحى زبدان : طيمات الأمم ص ٥٥ ، ٢١٨

(٣) نوفيق الطويل : أسس الفلسفة ص ٢١

(٤) أحمد أمين : مبادئ الفلسفة ص ٥ (مترجم)

وسبب ذلك الإدراك ، فإن الفلسفة إذن هي هدف كل إنسان وجد في هذا الكون^(١) ، وإن كل إنسان مهما كان مستواه الثقافي أو العلمي يتلصق في فهم تلك الحياة وفي كشف معانيها^(٢) على أن ذلك لا يعني أن جميع الناس فلاسفة بالمعنى الاصطلاحي للكلمة .

فنحن كما لانسمى زجاجا أوقفالا من أصلح في بيته لوح زجاج كسر أو عالج قفلا ، إما الزجاج أو القفال من اتخذ ذلك العمل حرفة في حياته ولم يقتصر على التعليم الصحيح بل أكسبته المثابرة على العمل مرانة وراعة ، وعرف كيف يصل إلى نتيجة خير مما يصل إليها غير المتمرن بجهد أقل من جهده — فكذلك لانسمى فيلسوفا إلا من كان أهم أغراضه في حياته درس طبائع الأشياء وتعلقها ، وعدته في ذلك فـكـره ، وكان له بمزاولته ذلك قدرة على إدراك الأشياء بسرعة .

(١) أحمد أمين : مبادئ الفلسفة ص ٢ (مترجم)

(٢) الشنيطي : المعرفة ص ٢٥

إفصل الثاني

- ١ - دعوى المعجزة اليونانية .
- ٢ - مكان الفكر اليوناني .

(٣ - الحياة الفكرية)

١ - دعوى المعجزة اليونانية

إن راية الشعوبية ومزمار التفرقة العنصرية قد أغرى كثيرين بالانضمام إليه ، حبا في الشهرة ورغبة في التحدى والمنافرة وجريا وراء التشديق بالغرائب والتعالم بالبدع والنقائض ، فانتفخ تبعاً لذلك موكب التطبيل للفكر اليونانى ، وغس المنضمون الجدد فكركم في حجج العنصريين وبراهينهم ، فأصابتهم بالتعصب لهم ولليونان غشاوة سدت عليهم آفاق الفكر ، وضيق عليهم ما رحب من مجالاته^(١) ، فصرنا نقرأ لهم في كتب الفلسفة حججا غير فلسفية ، وبراهين غير منطقية ، عمادها الأول والأخير التقليد والظن . والتقليد غير حجة ، والظن - كما هو معلوم - لا يفتى من الحق شيئا .

إننا إذ نصصح هنا مسيرة الفلسفة إنما ندعو الإنسان - وقد تحرر سياسيا من وطأة الغير - أن يتحرر فكريا من آثار تلك الوطأة ، فلا يردد آراء الغير دون وعى ، ولا يقود فكره بفكرهم دون تدبر ، إن الباحث المعاصر لم يعد يقبل ما يشاع من أسطورة المعجزة اليونانية التي يقال إنها خلق عبقرى أصيل جاء على غير مثال^(٢) أو أنها خالق من العدم^(٣) ، فتلك مزاعم - في نظره - لم يعد لها وجود ، ودعاوى لا أساس يدعها .

(١) العماد : التفكير فريضة اسلامية من ٦٥-٦٦

(٢) لمأم عبد الفتاح : مدخل إلى الفلسفة من ٣٥-٣٦

(٣) شارل فرنز : الفلسفة اليونانية - ترجمة تيسير شيخ الأرض ٢١

ولقد صدق شارل فرنز حين قال إنه حينما يعكلم المرء عن المعجزة اليونانية ويعنى بها خلقا من العدم يحق لنا أن نقول إنه ما من معجزة بهذا المعنى^(١).

كما صدق كذلك الدكتور إمام عبد الفتاح إمام حين قال : أمّا القول بأن الفلسفة اليونانية كانت خلقا عبقريا أصيلا جاء على غير مثال فهو قول لا معنى له . ويضيف : فإذا كانت الفلسفة هي عصر ما يعبر عنه بالفكر . . وإذا كان أى عصر من العصور هو نتيجة للعصور السابقة وتمهيد للعصور التالية ، أنتفى أن يظهر في التاريخ خلق عبقرى أصيل على غير مثال^(٢).

إن المشكلة في الواقع تقوم على افتراض خاطيء هو أن كل ما يكتب أو يسطر عن نشأة الفلسفة هو صحيح لا يتطرق إليه الماثل من بين يديه ولا من خلفه ، وهذا الافتراض إن سلم به لسلمنا بأن كل مكتوب صحيح لا لسبب إلا لأنه مكتوب ، واعلمك توافقتي بأن مثل هذا الكلام هراء من وجهة النظر المنطقيّة ، فالحق لا يعرف بالرجال أو بمؤلفاتهم وإعما إذا عرف الحق عرف أهله^(٣).

أعود فأقول : إن أى دعوى لا يسندها برهان هي دعوى باطلة لا تصالح أساسا يعتمد عليه ، ولا سندا يرتكز إليه ، والبرهان إن قام

(١) شارل فرنز : الفلسفة اليونانية ترجمة تيسير شيخ الأرض ص ٢٦

(٢) إمام : مدخل إلى الفلسفة هامش صفحتي ٣٥ - ٣٦

(٣) الإمام الغزالي : المنقذ من الضلال ص ١٠٨ .

في مثل هذه الدعاوى ، إنما يقوم على الاستقراء ، والاستقراء في مثل هذه الأحوال مستحيل إذ أنه ينبغي أن يكون هناك باحث أو أكثر استقرأ تفكير أفراد بني الإنسان منذ نشأ السكون حتى عصره بحيث لا يشذ عن استقرائه أحد ولا ينسد بشره ، لأنه إن فعل ذلك وكانت نتيجة استقرائه أن الفكر اليوناني كان معجزة وأنه خلق أصيل عبقرى جاء على غير مثال — لم يسعنا إلا أن نسلم بنتيجة استقرائه ، غير أنه بإيدام ذلك لم يحدث بل وليس في الإمكان حدوثه — فإن أى حكم — إذن — في مثل هذه القضايا يعتبر حكماً عاماً ، والحكم العام (غير المقصود) أو (المحصور) هو قضية مهملة ، والمهملات من القضايا في حكم الجزئيات ، والقضايا الجزئية لا تصلح برهاناً للقضايا الكلية ولا حجة لها .

لقد مر تاريخ الفكر بحقب مختلفة سطر بعضها التاريخ وأهل البعض ، ولئن عثرنا مؤخرًا على صفحات مما سطر فإنه لمن غير العدل أن نحكم بها على مستوى الفكر في غيرها مما لم نقرأه أو نسمع به ، فالحكم على الشيء ، فرع عن تصوره ، ونحن لم نتصور بعد مستوى الفكر عند كثير ممن سبقوا طالس ، إذ الصفحات الأولى والأخيرة من كتاب الفكر ما زالت مفقودة . وما لم نعثر عليها فلن نستطيع أن نجزم برأى معين .

يقول الدكتور راداكريشنان في مقدمته لكتابه الذى اشترك فيه مع نخبة من كبار علماء الهند وفلاسفتها عن تاريخ الفلسفة الشرقية

والغربية ما يأتي : إنه يصدق على تاريخ الفلسفة ما يصدق على العالم إذ يصنفه أحد كبار شعراء الفرس بأنه أشبه بخطوط قديم فقدت أول صفحاته وآخرها ، ومنذ أدرك الإنسان مستوى الوعي بوجوده وبالعالم وهو يحاول أن يكتشف هذه الصفحات المفقودة .

٢ - مكان الفكر اليوناني

إننا لا نبخس اليونانيين قدرهم ، وليس من الإنصاف للفكر الإنساني أن نعمل ذلك ، فمما لا نزاع فيه أن نصيب الأمة اليونانية في الفكر الإنساني نصيب كبير ، ولا نبالغ حين نقول إنه أعلى نصيب مكتوب عرفناه عن السابقين حتى الآن . ولا حاجة بالأمة اليونانية معه — في نظرنا — إلى انتحال الدعوى لها واغتصاب الفخار بغير دليل ، وحسبها أنها أخرجت للعالم مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو في ثلاثة أجيال متعاقبة مع من أخرجهم من الحكماء السابقين واللاحقين ، وأنها تعد من شعرائها أمثال هوميروس واسكايلاس وسفوكليس وأرستوفان ، ومن علمائها ومؤرخيها ذلك الطراز الأول الذي تلاحق عبر مدى ثلاثة قرون في عصر لم يعرف فيه أحد يضارعهم أو يقاربهم في هذه العلوم ، ومعهم رهط من نوابغ الفن وأساطين السياسة والحكم يوازنون نظراءهم في كل أمة وربما يرجحون أحيانا على أولئك النظراء بالكثرة والقيمة .

حسب الأمة اليونانية هذا الفخار الذي يقر به جميع المنصفين من

الشرقيين والغربيين ، فأما أنها استأثرت بالقيم الإنسانية العليا في الذوق والفكر والخلق فتلك هي الدعوى التي يروجها المغرض ولا يسلمها التاريخ ، فإذا كانت الشهادة لها بهذا الاستثناء هي المقدمة اللازمة للوصول إلى النتيجة المقصودة من تحقير الشرق وتسويغ استعباده فهي مناجز يقابلها الشرقيون بما ينبغى لها من التصحيح والتقنيد ، وإنها لينبغى لها أن تصحح وتفند لغرضين واجبين :

— أحدهما تجميع الحقيقة .

— والآخر محو الأثر السيء الذي تعقبه في نفوس أبناء الشرق فتوقع فيها اليأس ، وتقضى عليهم بالمهانة ، بحكم الخصائص النظرية التي لا تتغير ولا تتبدل مع الزمن في زعم الزاعمين .

الفصل الثالث

من آثار التعصب للفكر اليوناني

- أ - في المسيحية .
- ب - في الإسلام والتاريخ .
- ج - في العلم ومنهج البحث .

من آثار التعصب للفكر اليونانى

لقد حصر هؤلاء الشعوبيون فى طبيعة الغربى من وراء اليونانى كل قيمة إنسانية عالية من مزايا الفكر أو الحكم أو الخلق ، وقابلوه فى هذه الخصائص بالشرقى ، فخرج الغربى بمزية العقل الذى يطلب العلم للعلم ، ومزية الحكم الذى يقوم على حقوق الشعب ، ومزية الخلق الذى تتقدم به الفضائل الاجتماعية على دواعى الأنانية ودوافع الغريزة ، وخرج الشرقى من هذه الموازنة بالطرف النقيض كأنهما متقابلان على خط من خطوط المسطرة لا يتلاقى طرفاه من أقصاه إلى أقصاه^(١) .

أضف إلى ذلك أنه بلغ من رغبة الأوربيين ومن ساروا فى ركبتهم فى ترجيح الغرب كله باسم اليونان أن وريفا منهم :

١ — تنسك المسيحية لأنها ثمرة شرقية ، وزعم بعض هؤلاء أن المسيحية ثمرة الفكرة اليونانية عن طريق بواس الرسول وجماعة الفلاسفة المسيحيين الذين طبقتوا الدين على الفلسفة بعد القرن الأول للميلاد ، وذكر هؤلاء من براهينهم على ذلك أن الأناجيل كتبت باللغة اليونانية وأن كلمة الانجيل نفسها لمعين البشارة من لغة اليونان^(٢)

٢ — وتنسك الفريق الآخر للإسلام وتعاليمه ، بل وللتاريخ

(١) توفيق الطويل : أسس الفلسفة ص ٢١ ، والأستاذ عباس محمود العقاد : إبليس ص ٨٢ — ٨٤ . وأبو الحسن على الحسنى : إلى شاطئ النجاة ترجمه عبد الله عباس الهلواروى الندوى ص ٣ فما بعدها .

و ٠ أ . س — رابوبيرت : مبادئ الفلسفة ، ترجمة أحمد أمين ص ٩٦ :

(٢) العقاد : إبليس ص ٨٢ .

فأصبح ينسب لكل الأنبياء أو معظمهم - دون دليل - إلى البلاد العربية متجاهلاً^(١) ، أن الخلق جميعا عباد الحق ، وأن هداية الله ليست تقصراً على شعب دون آخر بل الجميع أمام استحقاق الهداية سواسية لا فضل لعربي فيها على عجمي ولا لأسود على أبيض^(٢) . بل إن القرآن لينص صراحة بأن كل أمة من الأمم أيا كان عصرها أو بيئتها كانت محط رحمة الله وفضله فأرسل لها رسولا بلسانها ليخرجها من ظلمات الجهالة إلى نور العلم والايان يقول تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير »^(٣) : ويقول : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »^(٤) ويقول : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »^(٥) .

ويقول تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا بلسان قومه »^(٦) . بل إن فضل الله على عباده اقتضى أن يرفع عن مخلوقاته العذاب حين تمر فترة لا يصلهم فيها رسول يقول تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »^(٧) ويقول أيضاً : « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي

(١) الدكتور محمد سعيد رمضان : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٠٨

(٢) صحيح مسلم : باب المساجد . وصحيح البخاري باب التيمم والمساجد .

(٣) فاطر ٢٤ .

(٤) النحل ٣٦ .

(٥) النساء ١٦٥ .

(٦) إبراهيم ١٤ .

(٧) الإسراء ١٥ .

القرى إلا وأهلها ظالمون^(١) .

فإنه سبحانه وتعالى كما أرسل الرسل للعرب وللعبرانيين كذلك أرسلهم لليونانيين^(٢) . وبقية الشرقيين والغربيين بل أرسل بعضهم للانس والجن كافة .

ولقد أكد القرآن عالمية رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين قال : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا^(٣) » وقال : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا^(٤) » وقال : « قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشد فأمنا به^(٥) » . وقد أكد رسالة غيره من الأنبياء حين قال : « وأنزلنا التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس^(٦) » . وقال : « قل من أنزل

(١) القصص ٥٦

(٢) ورد في كتاب عبود الأنبياء أن بعض الفلاسفة كان حين يعجز عن إجابة سائله يحملهم إلى النبي كما ورد فيه أن أنماثوذيمون هو أحد أدباء اليونانيين والأهريين ص ٣١ وفيه أيضا : أن بندقليس الفيلاسوف كان في زمن داود النبي عليه السلام وكان قد أخذ الحكمة عن لقمان بالشام ثم انصرف إلى بلاد اليونان ص ٦١ . وفيه أيضا أن فيثاغورس أخذ الحكمة عن أصحاب سامان بن داود عليهما السلام بمصر حين دخلوا إليها من بلاد الشام ثم رجع إلى بلاد اليونان واعترف بأن ما استفاده من معرفة من مشكاة النبوة ص ٦٢ وفيه أن جالينوس أورد في مواضع يتفرقة من كتبه ذكر موسى والمسيح ص ١١١، ١١٧ وفيه أن فيلدفوس الملك أحضر إلى بلاد اليونان جميع الكتب التي كانت عند اليهود من التوراة والأنبياء وما جرى مجراها واستقدم اثنين وسبعين رجلا من جميع الأسباط لترجمتها ص ١١١ . وفيه أن تاريخ اليونانيين أصبح القوارخ - أعني تاريخ التوراة والأنبياء -

التي عندهم ص ١١٢

(٣) سبأ ٢٨

(٤) الأعراف ١٥٨

(٥) الجن ١

(٦) آل عمران ٤

الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس^(١) . وقال : عن سيدنا يونس عليه السلام : « أكان للناس عجبنا أن أوحينا إلى رجل منهم أن نذر الناس^(٢) » . وقال عنه أيضا : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم^(٣) » : فالرسالة الإلهية إذن — لم تستثن شعبا معيننا ليكون سبيله إلى المعرفة مخالفاً لسبيل غيره من الناس ، وإنما عمت الجميع على اختلاف أزمانهم وأقطارهم ، وليس هناك دليل واحد عقلى أو شرعى أو تاريخى ينفى وصول الرسالة إلى شعب بعينه .

على أن تقرير ذلك لا يعنى أن الرسل الذين سبقوا سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم كانت رسالتهم كرسالته فى العموم والشمول ، فالقرآن لم يستعمل كافة وجهيها إلا عند الإشارة إلى رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أضف إلى ذلك أن الحديث النبوى حدد فى صراحة دائرة رسالة كل نبي حين قال : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحر وأسود ، وأحلت لى العنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض طيبة طهورا ومسجدا فأى رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرب و بين يدى مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة »^(٤) .

هذا وفى القرآن آيات كثيرة تدل على تحديد دائرة رسالة عدد

(١) الأنعام رقم ٩١

(٢) يونس رقم ٣

(٣) يونس رقم ١٠٨

(٤) صحيح مسلم باب المساجد ، وصحيح البخارى باب التيمم والمساجد .

من الرسل ممن سيقوا سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم : من بينها قوله تعالى :
« وإلى نوح أخاه صالحا »^(١) وقوله : « ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه
فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما »^(٢) وقوله : « وإلى عاد أخاهم
هودا »^(٣).

وقوله : « ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين .
إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون »^(٤) وقوله :
« لقد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم
إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده »^(٥) وقوله : « لا تخف
إنا أرسلنا إلى قوم لوط »^(٦) وقوله : « فلما ذهب عنه الروح وجاءته
البشرى يجادلنا في قوم لوط »^(٧) وقوله : « كذبت قوم لوط المرسلين .
إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون . إني لكم رسول أمين »^(٨) وقوله :
« ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من
العالمين »^(٩) وقوله : « وإلى مدين أخاهم شعيبا »^(١٠) وقوله : « فتولى عنهم

(١) هود ٦١

(٢) المنكحوت ٤١

(٣) هود ٥٠

(٤) الأنبياء ٥١

(٥) المتحنة ٤

(٦) هود ٧٠

(٧) هود ٧٥

(٨) الشعراء ١٦٠

(٩) المنكحوت ٢٨

(١٠) هود ٨٤ والاعراب ٨٥

وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين^(١) « وقوله « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها^(٢) » وقوله : « وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين^(٣) » وقوله : « قال فإننا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا^(٤) » وقوله : « وإذ قال موسى لقومه إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم^(٥) » وقوله : « فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم، قد جئناك بآية من ربك^(٦) » وقوله : « وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين . حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل^(٧) » وقوله : « ألم تر إلى الملائ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله^(٨) » وقوله : « وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا^(٩) » وقوله « وإن إلياس من المرسلين إذ قال

(١) الأعراف ٩٣

(٢) الأعراف ١٤٥

(٣) الأعراف ١٤٢

(٤) طه ٩٣

(٥) البقرة ٥٤

(٦) طه ٥٧

(٧) الأعراف ١٠٤ - ١٠٥

(٨) البقرة ٢٤٦

(٩) البقرة

لقومه ألا تتقون»^(١) وقوله : «فلولا كانت قرية آمنت فنفسها إيمانها،
إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
ومتعناهم إلى حين»^(٢) وقوله : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة
والإنجيل ورسولا إلى بنى إسرائيل»^(٣) وقوله . « وإذ قال عيسى
ابن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من
التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»^(٤) .

أعود فأقول إن أى محاولة ترمى للحد من هداية الله للبشرية هي
عمل محانب لتعاليم الإسلام، مناقض لنصوصه ، فالله ملك الناس إله الناس،
والناس ليسوا قسرا على الشعب العربى أو سكان مايسمى حاليا بالبلاد
العربية ، ومن هنا يدرك مدى جهل من قد يتصور بأن الله عز وجل
إنما خص منطقة الجزيرة العربية بالرسول والأنبياء .. هذا إلى أن الأنبياء
الذين أرسلوا إلى منطقة الجزيرة العربية هم بعض يسير فقط من مجموع
الأنبياء الذين أرسلوا إلى مختلف الجماعات من الناس فى شرق العالم
وغربه^(٥) طبقا لقوله تعالى : « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا
لم نقصصهم عليك^(٦) » . أخص مما تقدم أن تلك القرية التى نشرت فى العالم

(١) الصافات ١٢٣

(٢) يونس ٩٨

(٣) آل عمران ٤٨

(٤) الصف ٦

(٥) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٠٨

(٦) النساء ١٦٤

الفكرى كانت إلى حد كبير متأثرة بالروح التي سلمت الشرقيين
الفكر ومنحت الغربيين - ممثلين في اليونان - العقل . فالأولون عند
هؤلاء المتعصبين وسيلتهم إلى المعرفة هي الوحي ، بينما الآخرون وسيلتهم
إلى المعرفة ، هي العقل ، كما أنهم بذلك يريدون أن يؤكدوا أن
اليونان أو الغربيين لم يرسل لهم رسول أو نبي وإنما كان رسولهم هو
العقل ، وهذا - كما ذكرت - يناقض التاريخ والدين .

٣ - وتنكر الفريق الثالث للعلم ومنهج البحث ، فضم المصادر
والمراجع إلى :

(أ) مراجع إلهية أو دينية .

(ب) مراجع بشرية أو غير دينية .

فأهمل ما وضعه الله وما أثبتته في كتبه ، بفضل واصطفى وآثر ما كتبه
البشر مع إيمانه واعتقاده بأن الخطأ على الأخيرين وارد وعلى الأولى
غير وارد .. فكأنه إذن اعتمد على مراجع غير موثوق بها ١٠٠٪
وأهمل مراجع موثوقا بها ١٠٠٪ وهذا في مجال البحث غير سليم .

إن الأمانة العلمية تقتضى أن يتجرد الباحث من الهوى والغرض
والحكم المسبق حين يعالج أمراً من الأمور أو يتناول مسألة من المسائل
العلمية ، فأما أن يتخذ موقفاً مسبقاً تجاه مرجع معين لاشيء إلا لأنه
لا يروق له أو لأن (التعاليم) أو التحرر يقتضى أن يفض النظر عنه إن لم توفقه
الجرأة إلى نبذه وإهماله فإن ذلك غير سليم من وجهة النظر العلمية .
إن منهج البحث يقتضى أن يحدد الدارس موقفه من المراجع العلمية

فهو إما أن يقبلها كلها أو بعضها لذاتها ودون مراعاة لوضعها
أو يرفضها كلها أو بعضها لذاتها دون مراعاة لوضعها، أو يقبلها كلها
أو بعضها لا لذاتها بل مراعاة لوضعها، أو يرفضها كلها أو بعضها
لا لذاتها بل مراعاة لوضعها

أما أن يجتهد الباحث عن هذا التقسيم العقلي فيصنف المراجع وفق
التعصب والهوى إلى مراجع دينية يسقطها من حسابه وأخرى غير دينية
يجعلها مركزاً لبحوثه ومجالاً لدراسته سواء أقبلها كلها أو بعضها راعى
واضعها أو لم يراعه .. فإن ذلك يدعو للتدبر والتفكير ؛ ذلك لأن
الدافع يصبح حينئذ دافعاً مذهبياً لاعلمياً وحزبياً لافكرياً ، ومتى
ما انزلت الباحث إلى هوة المذهبية والحزبية فارق ميدان العلم وجانب
جادة الصواب (١) .

على أن المراجع الدينية التي أسقطها مثل هذا من حسابه لم تخرج
عن كونها مراجع مهما كان موضوعها أو واضعها فإخراجها إذن عن
دائرة البحث والدراسة لإخراج لذات الدارس من ميدان الموضوعية
إلى الميدان المقابل لها ، فقد امتزج الفكر الفلسفي الممثل في المراجع الشرعية
بالتفكير الديني الممثل في المراجع الإلهية في شتى عصور الاسابية ، حتى
ليمكن القول بأن كل محاولة ترمى إلى الفصل التام بينهما تنتهي لاجتماع

(١) راجع المسيح الذي اتبعه الأستاذ يوسف كرم في كتابه تاريخ الفلسفة اليونانية
لإذ قل بعض الكتب غير العربية وحذر من قراءة بعض الكتب العربية مدعياً أن فيها
خلطاً كثيراً وتقليداً وتأخيراً - وهذا ولم يشر إلى مواضع الخطأ في هذه ولا الصواب
في تلك كما لم يشر إلى الميزان الذي استخدمه في نقده .

إلى المعجز عن فهم كليهما^(١).

فالفلسفة بمثابة الشجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها العلم الطبيعي، وأعضاؤها باقي العلوم، فهي إذن بنت الدين وأم العلم. هذا ولولا المراجع الدينية ما كانت هناك مراجع فلسفية، وما كان هناك تفكير منطقي سليم، ففضل المراجع الدينية على المراجع الأخرى من الأهمية بحيث لا يمكن التفاضل عنه بله إهماله وطرحه.

(١) بوفيق الطويل: أسس الفلسفة ص ٢١.

الباب الثاني

معالم التفكير

تمهيد .

تختلف معالم التفكير^(١) وطرق التناول والعرض باختلاف ثقافة المفكر وبيئته ومعتقداته وظروفه الاجتماعية والصحية والنفسية ، كما تختلف تبعاً لذلك نتائج مثل هذا النوع من التفكير إيجاباً وسلباً ، على أن جوهر التفكير في كل تلك الحالات يظلي واحداً كما تظل خصائصه الجوهرية متطابقة مهما تباينت أنواع المعرفة أو تشابهت هذا ولبعض أنواع التفكير معالم بارزة لا تصل إلى درجة الخصائص الجوهرية وإن تلفعت بثيابها العارضة وتدنرت ببرقعها الموه .

وتتمثل تلك المعالم في الأطار الآتية :

- (أ) الإطار الفلسفي أو إطار الفلسفة غير الملزمة .
- (ب) الإطار الديني أو إطار الفلسفة الملزمة .
- (ج) الإطار العلي أو إطار التجربة المتكررة .
- (د) الإطار غير المنهجي « أو تفكير رجل الشارع » .

(١) آثرت أن أؤخذ معالم التفكير عنواناً للدخول بدلاً من العنوان الذي ألفه كثير من كتابات الفلسفة وهو خصائص التفكير .. إذ الخصائص كما هو معلوم ذات طلال جوهرية بينما العلام ذات طلال عرضية وما دام الناس جمعاً سواسية في جوهر التفكير وفي خصائصه الذاتية ولا مجال إذن للحديث عن التمايز الأساسي أو الخصائص الجوهرية بين نوع وآخر من أنواع التفكير .

في إطار الفلسفة

أبرز معالم التفكير في هذا الإطار ما يأتي :

- (أ) الشك المنهجي .
- (ب) المدهشة .
- (ج) التأمل والتفكير .
- (د) السكينة والعمومية .
- (هـ) الاستقلال أو الحرية الفكرية .

القِصَّةُ الأُولَى

الشَّك

الشك المنهجي (١)

تمهيد :

لئن كان الشك صفة لازمة للعالم الباحثنا مهما كان ميدان بحثه ، فإنه في ميدان الفلسفة ألزام ، ذلك لأن (بمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبحر ، ومن لم يبحر يتلى في العنى والضلال) (٢) والشك لا تعرفه الطبيعة البشريّة كشيء مستقل مقطوع الصلة بما سواها ، ولكنه يظهر في العبادة كجزء من حماية نفسية مركبة طويلة دقيقة ينقب فيها العقل في جميع الزوايا على المعلومات السابقة ، ويقبلها ظهرا لبطن ، ثم تنفض من هذه الأشقات صورة جديدة ، تجعل تفرضا علميا أو حلا لمعضلة من نوع ما ، وقد يلى ذلك اختبار للفكرة الجديدة ينتهي بإثبات صحتها أو ظهور فسادها (٣) مما يؤدي إلى إعادة الحياة العقلية بالكتب والمؤلفات والآراء التي تنتزع نحو الطرافة والجدية ، متديرة بالحجج والبراهين ويعبر الشك المنهجي الذي يتبدد المعرفة الحقيقية لا يكون تناسف ؛ ذلك لأن الفلسفة موقف للعقل لإزاحة نظرياته أو معتقدات يسلّم بها الناس عن جهل أو سذاجة ، وهي تأتي أن تقتنع

(١) الشك المنهجي هو ان يبتد الشاك في سبيل اليقين الأرس الرخوة والرمال ليعثر على الصخور والاصال - راجع رينيه ديكارت مقال عن المنهج - التسم الثالث ترجمة محمود محمد الحضري ص ٤٦ طبع القاهرة ١٩٣٠م وأسس الفلسفة ص ١٩٨ . الدكتور نظمي لوتا : الحقيقة ص ٦٧ - ٦٨ طبع القاهرة ١٩٧٣

بالقضايا التقليدية التي ألف الناس الاقتناع بها والتسليم بصحتها ،
أو على الأقل عدم إثارة الشكوك حولها .

فالشك إذن منهج يفرضه صاحبه بإرادته ، رغبة منه في امتحان
معلوماته ، واختبار معرفته وتطهير عقله من كل ما يحويه من مغالطات
وأضاليل ، وهو يمكن صاحبه من البدء بدراسة موضوعه وكأنه لا يعلم
عنه شيئاً ، فلا يتأثر بالأخطاء المألوفة أو المغالطات التي يتلقاها عن غيره
من الناس أو يقرؤها في كتب الباحثين .

والشك كذلك خير طريقة لانتقاء الأحكام المبعسرة التي تعرض
للإنسان في طريقه ، إنه خطوة تسلم إلى اليقين أو إلى المعرفة الصادقة وهو
أيضاً نتيجة عزم العالم على أن يشك بنظام ومنتضى موداً في أي فكرة
يمكن أن تكون ماثراً للشك^(١) .

فالعالم الأساسي إذن للشك المنهجي أنه وسيلة وليس غاية ، وهو إذ
ينتهج في مثل هذه الحالات لا ينتهج كأسلوب للتضليل ، إنما يتخذ حتماً
وينتهج صدقاً ، إنه ليس مطلوباً لذاته لا يبرح عنه ولكنه يتخذ معبراً
للحقيق ووسيلة للتصديق^(٢) .

(١) الدكتور توفيق الطويل : أسس المنهج ص ١٢٩

(٢) الدكتور نظمي لوقا : الحقيقة ص ٦٨

قادة الفكر المنهجي

لقد خاض غمار هذا الشك فلاسفة كثيرون وعلماء بارزون ، ليس هذا مجال ذكرهم إذ هم لا يحصون عدداً ولا ينظمون عقداً ، غير أنهم على كثرتهم يجمعهم يقين بعد شك واستقرار نفسى بعد قلق واضطراب . إن قائمة أعلام الشك المنهجي يتصدرها مفكرون نابغون ، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

١ - سيدنا ابراهيم عليه السلام : (١)

لقد كان منهج سيدنا إبراهيم في الشك المنهجي أوحين مناقشة مجادليه دا جانبيين :

أحدهما جانب سلبى يؤدي إلى تخليص العقل من الأخطاء إذ ينزع في هذا الجانب منزع التهمك فيمتظاهر لمناقشة الجهل بحتمية موضوع معين ثم يأخذ في الاستفسار والتساؤل وإثارة الشكوك في موضوع المناقشة رغبة في أن يسترج مناقشه إلى النتيجة التي يهدف إليها .
ثانيهما : جانب إيجابى يرشد إلى الحقيقة عن طريق توليد المعلومات

(١) اعلم أن المرح التلميذى والفلسفة يستذكر ذكر مثل هذه الأسماء لأنه يقتصر الفكر - دون وعى أو دليل - على زهر معين لا يمانع ان يلحق بهم غيرهم أو يضاف إليهم سواهم إن كانا ذى حجة لحدبه ولكنك يثور ويهلى دمه ان ذكر أمثال هؤلاء .
ألا فلما هم هؤلاء ، تفدون أنا لم نكتب هذا البحث إلا بعد أن تحررنا من أسار الحجر الفلسفى واتزعتنا حقنا فى الحرية الفكرية التي تسجل ما يتليه علم الفكر الموضوعى لا الأسار التلميذى . لأمثال هؤلاء أقول : لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ولا أنا عابد . ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد . لىكم دينكم ولى دين .

أو ترتيب النتائج . وهذا الجانب له علاقة بالجانب السابق له إذ أنه على أبقاض الجانب السلبي تنبئ نتائج هذا الجانب حيث تقول من تلك المناقشات مناقشات أخرى إلا تروق للمناقش وخاصة إذا ما ترتب عليها إظهار تناقضه وتهاوته في الحقيقة .

مواقفه الفكرية:

وينضح هذا الموقف — الذي استخدمه سيدنا إبراهيم — بجلاء في موقفين فكريين وقفهما من مناوئيه :

١ — أولها موقفه من قضية عبادة الأصنام التي كان يعارضها ، فقد تهكم سيدنا إبراهيم من عابديها ، وأثار حول عبادتها تساؤلات مختلفة رتب عليها نتائج منطقية تولدت من المناقشة التي دارت بينه وبين معارضيهِ (١) .

وقد أوجز الله سبحانه وتعالى هذه القصة حين قال في القرآن التكريم :

« ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عاينين . إذ قال لأبيه وقومه ما هيذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجبثنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا

(١) محمد على الصاوي : النبوة والأنبياء ص ١٦٤ - ١٦٥

محمد احمد جاد المولى وآخرون : قصص القرآن المصحفات ٣٦ - ٤٤

عقيد عبد الفتاح طيارة : مع الأنبياء في القرآن الكريم الصفحات ٧ - ١١٥

مدبرين جعلهم جذاذا إلا، كبير اللهم، عليهم إليه يرجعون. قالوا من فعل هذا بأهنتنا، إنه لمن الظالمين. قالوا: سمعنا، قبي يذبحهم يقال له إبراهيم، قالوا فأتوا به على أعيين الناس، عليهم يشهدون، قالوا: أنت فعلت هذا بأهنتنا يا إبراهيم، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا لربكم: أنتم الظالمون. ثم نكسوا على رؤوسهم لقعامت ما هؤلاء ينطقون، إقال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم، أف ليكم ولنا تعبدون من دون الله أفلا تعقلون^(١).

ثانيهما موقفه من قضية الألوهية. فقد سخر سيدنا إبراهيم من موقف من يعبدون الخلقيات الفانية التي لا تملك لنفسها حق الديمومة والثبات ونادى بعبادة فاطر السموات مستديراً قومه من نقطة إلى أخرى حتى يحسم لهم خطأ ما هم فيه من شرك، وباطل ما هم فيه من خرافة^(٢) بقول تعالى حكاية عن موقفه الفكري: « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب إلا فبين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدينى ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون. إنى وجهى وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين^(٣) ».

(١) الأنبياء ٥١-٦٧

(٢) محمد أحمد جاد المولى وآخرون: قصص القرآن الصفحات ٤٧-٩٠

وطبارة: مع الانبياء في القرآن الكريم الصفحات ١١٦-١١٨

(٣) سورة الأنعام ٧٥-٧٩

هذا ويشبه هذا الموقف إلى حد كبير موقف سيدنا إبراهيم من الملك عمrod الذي حاج إبراهيم في ربه فاستدرجه سيدنا إبراهيم حتى إذا ماضى قدما في الحاجة أوضح له خطأ منهجه في التفكير وأسلوبه في النقاش ورده إلى جادة الصواب^(١). يقول تعالى مهورا تلك الحاجة: « ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأتت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين^(٢) ». » .

٣ - موقفه من قضية الحياة والموت التى قصها الله سبحانه وتعالى حين قال « وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فيخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل مهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيها واعلم أن الله عزيز حكيم^(٣) ». » .

لقد أبان سيدنا إبراهيم بجلاء في هذا الموقف أنه إنما يتخذ الشك وسيلة لا غاية ومعبراً لا هدفاً وطريقاً لتجسيد المعرفة وتثبيت اليقين لاسببها لترسيخ الشك وتأكيد كيدته^(٤) .

(١) طبارة : مع الأنبياء ص ١١٨ - ١٠٩ ، والصابونى : النبوة والأنبياء الصفحات ١٦٧ - ١٦٨

(٢) القرة ٢٥٨ نا بعدها .

(٣) القرة ٢٦٠ نا بعدها .

(٤) الصابونى : النبوة والأنبياء الصفحات ١٦٠ - ١٦٢ ، وطبارة : مع الأنبياء الصفحات ١١٩ - ١٢٠

٢ — سقراط

منهج سقراط لا يكاد يختلف عن منهج سيدنا إبراهيم ، فلهذا كما لذلك جانبان في منهجه الفكري أحدهما ساهى هو التهمك والآحر إيجاني هو التوليد الذي يرشد إلى الحقيقة .

إن سقراط لم يكن يناقش الناس لكي يعلنهم شيئا بل لكي يبين لهم طريق المعرفة^(١) ، وبشير فيهم روح البحث والنقد الذاتى . وكان يحرص ان ينبعث النقد من ذات الفرد ويقول من إحساسه بانخطأ ، فمنهجه إذن منهج للفلسف لا منهج لتعليم الفلاسفة ، ولم يكن الشك الذى يثيره سقراط غاية فى ذاته ولكن وسيلة للمعرفة التى ينشدها عبر الأسئلة التهمكية والنأج (التوليدية) أو الانشاقية^(٢) .

مواقفه الفكرية :

وفى محاررات أفلاطون وكسينوفون أمثلة كثيرة توضح هذه الطريقة ، ولعل من أوضحها تلك المناقشة التى أوردها كسينوفون بين سقراط والشاب المدعى جلوكون بن أريستون فقد كان جلوكون شابا لم يتجاوز العقد الثانى من عمره ولكنه ذو طموح يفوق سنه . فقد رغب فى الحكم مع عدم أهليته له ، وفى السلطة مع عدم إحكامه مسبباتها ، ولما لم يجد نصيح الناصحين له ووعظ المستفيين عليه آثر سقراط أن يتدخل إشفاقا على الشاب وإكراما لأخيه أفلاطون .

(١) د . أميرة حلمى مطر : الفلاسفة عند اليونان ص ١٤٦

(٢) توفيق الطويل : أسس الفلسفة ص ١٣٠

(٣) الحياة الفكرية

وبدأ منهجه مع الشاب واسترسل معه في الحوار وأطال معه النقاش والجدل مؤثرا طريق الأسئلة الهادفة والاعتراضات البناءة .

وما كاد سقراط ينتهي من الحوار حتى أدرك الشاب جهله بأمور الاقتصاد والحرب وما إليها من لوازم العمل بالسياسة ، ومن ثم عدم أهليته للقيادة والسلطة^(١) .

٣ - أرسطو :

فطن أرسطو إلى الشك المنهجي في كتابه ما بعد الطبيعة ، وفرق بينه وبين الشك المطلق أو الحقيقي ، فأهمل الأخير وأيد الشك المنهجي وأوصى بمزاولته عند البدء بدراسة أى بحث علمي .

مواضع الشك :

لقد كان أرسطو يرى أن هناك علاقة ضرورية تقوم بين الشك والمعرفة الصحيحة ، كما أن هناك علاقة بين الايمان والشك النزيه إذ الأول مغمور في ثنايا الأخير .

وكان من رأيه أن من يريد أن يكتسب ملكة للتحصيل فلا سبيل لإدراك غايته إلا عبر الشك الذي هو في الحقيقة ترو وتبصر . ولتجسيد رأيه فقد عقد مقارنة بين من يقومون ببحث علمي من غير أن يسبقوه بشك ، وبين من يسبغون على غير هدى ، فسكلا الفريقين في نظره قد ضلوا

(١) د . أميرة حدى مطر : الفلسفة عند اليونان الصفحات ١٤٦-١٤٧ والدكتور

إمام عبد النواح إمام : مدخل إلى الفلسفة ص ٣٠٣

سواء السبيل لأنهم جهلوا أو تجاهلوا الوسيلة الصحيحة للمعرفة واليقين^(١).

٤ - الحارث بن اسد المحاسبي:

لقد كان الحارث المحاسبي متمطشا إلى المعرفة والبحث والاطلاع وإلى الوصول لرأى لا يعتموره الشك ونتيجة يقينية ثابتة لا تزلزل . ولكنه بعد أن بحث زاد شكاً بدل أن يزيد إيمانا واضطربت نفسه وخشى أن يأتيه الموت فجأة قبل أن يمتصم بحبل الله المستقيم ، فسكد وجد ثم يئس من أن يصل إلى النتيجة ، ولكن الله وفقه في النهاية إلى الاتصال بتوم صالحين فسكن اليهم وأخذ ، سكن اليهم وأخذ لا لأن منطقهم أوجد عنده اليقين ، ولا لأن براهينهم بعثت في نفسه الاطمئنان ، وإنما لأن سيماهم على وجوههم تبعث الثقة وتهدى إلى الرشاد .

موالفة الفكرية :

لندع المحاسبي نفسه يصور حالته . والنص الذي ثبته الآن من مخطوط له بدار الكتب المصرية اسمه النصائح .

قال المحاسبي بعد مقدمة موجزة :

أما بعد ، فقد انتهى إلينا أن هذه الأمة تفترق على بضع وسبعين فرقة منها فرقة ناجية والله أعلم بسأرها ، فلم أزل برهة من عمري أنظر في اختلاف الأمة وأتمس المنهاج الواضح والسبيل القاصد وأطلب من العلم والعمل ، وأستدل على طريق الآخرة وإرشاد العلماء ، وعقلت كثيراً من كلام الله عز وجل بتأويل الفقهاء .

(١) توفيق الطويل : أسس الفلسفة من ١٣٠-١٣١ ، والدكتور إمام عبد الفتاح

إمام : مدخل إلى الفلسفة من ٣٠٣-٣٠٤ .

وتدبيرت أحوال الأمة وتظيرت في مذاهبها وأقاويلها فعمقت من ذلك ما قدر ، ورأيت اختلافهم بجرأ عميقا غرق فيه ناس كثير وسلم منه عصابة قليلة ، ورأيت كل صنف منهم يزعم أن النجاة في اتباعهم وأن الهالك من خالفهم .

ثم رأيت الناس أصنافا ، فمنهم العالم بأمر الآخرة لقاؤه عسير ووجوده عزيز ، ومنهم الجاهل فالبعد عنه غنيمية ، ومنهم المتشبه بالعاماء مشغوف بدنياها مؤثر لها ، ومنهم حامل علم منسوب إلى الدين هانتس بهلمه التعميم والعلو ينال بالدين من عرض الدنيا .

ومنهم حامل علم لا يعلم تأويل ما حمل ومنهم متشبه بالنسك منجر بالخير لا غناء عنده ولا بقاء لعاهه ولا معتمد على رأيه .

ومنهم منسوب إلى العقل والدهاء مقفود الورع والنقي . ومنهم متواردون على الهوى متفتنون والدنيا يتبادلون ورئاستها يظلمون .

ومنهم شياطين الإس عن الآخرة بعيدون ، وعلى الدنيا يتكلمون وإلى جمعها يهرعون ، وإلى الاستكثار منها يرغبون ، فهم في الدنيا أحياء وعن العرف موتى ، بل العرف عندهم منكر والسوء معروف .

متهجه في المعرفة :

فقدت في الأصناف نسبي وحققت بذلك ذرعا ، فتصدت إلى هدى المهتدين بطلب السداد والهدى وأسترشدت العلم وأعمت الفكر وأطلت النظر ، فتبين لي في كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجماع الأمة أن اتباع الهوى يعنى عن الرشد ويضل عن الحق ويظيل المسك في العمى .

فبدأت بإسقاط الهوي عن قلبي ووقفت عند اختلاف الأمة هرتادا
 لطلب الفرقة الناجية حذرا من الأهواء المردية والفرقة الهالكه متحذرا
 عن الافتحام قبل البيان والتمهت سبيل النجاة لمهجة نفسي .

ثم وجدت باجتماع الأمة في كتاب الله المنزل أن سبيل النجاة في
 التمسك بتقوى الله والورع في حلاله وحرامه وجميع حدوده ، والاخلاص
 لله تعالى بطاعته والتأسي برسوله صلى الله عليه وسلم .

فطلبت معرفة الفرائض والسنن عند العلماء في الآثار فرأيت اجتماعا
 واختلافا ووجدت جميعهم يجمعون على أن الفرائض والسنن عند العلماء
 بالله وأن الفقهاء من الله العاملين برضوانه الورع عن محارمه المتأسين
 برسوله صلى الله عليه وسلم المؤثرين للأخرة على الدنيا أولئك المتأسكون
 بأمر الله وسنن المرسلين .

فالتهمت من بين الأمة هذا الصنف المجمع عليهم والموصوفين
 أقفوا آثارهم وأقبس من علمهم فرأيتهم أقل من القليل ورأيت علمهم
 مندورسا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بدأ الإسلام غريبا
 وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء) وهم المنفردون بلومهم .

فعممت مصيبتى بفقد الأدلاء الأتقياء وخشيت بغمة الموت أن
 يفاجئني على اضطراب من عمرى لاختلاف الأمة .

فانكملت في طلي عالما لم أجد لي من معرفته بدا ، لم أقصر
 في الاحتياط ولم أن في النصح .

فقيض لي الرؤف بعباده قوما وجدت فيهم دلائل التقوى وأعلام

الورع وإيثار الآخرة على الدنيا ، ووجدت إرشادهم ووصاياهم موافقة لأفعال أئمة الهدى مجتمعين على نصيح الأمة لا يرجون أخذاً في معصيته ولا يقنطون أبداً من رحمته ، ويوصون كل واحد بالصبر على البأساء والضراء والرضاء بالقضاء والشكر على النعماء ، يحبون الله تعالى إلى العباد بذكرهم أياديه وإحسانه ، ويحثون العباد على الإنابة إلى الله تعالى علماً بعظمة الله تعالى وعظم قدرته ، وعلمها بكتابته وسنته . فقهاء في دينه علماء بما يجب ويكره ، ورعين في البدع والاهواء تاركين التعمق والإعلاء مبغضين للجدل والمرء متورعين عن الاغتياب والظلم والاذى مخالفين لأهوائهم محاسبين لأنفسهم مالكيين لجوارحهم ورعين في مطاعهم وملابسهم وجميع أحوالهم ، مجانبين للشهوات تاركين للشهوات مجتريين بالبلغة من الاقوات ، متقللين من المباح زاهدين في الحلال مشفقين من الحساب ، وجلين من المعاد مشغولين بيبهم مؤثرين على أنفسهم من دون غيرهم لكل امرئ منهم شأن يفنيه .

علماء بأمر الآخرة وأهويل القيامة وحزيل الثواب وأليم العقاب ، ذلك أورثهم الحزن الدائم والهم المضني فشغلوا عن سرور الدنيا ونعيمها . ولقد وصعوا الآداب صفات وحددوا للورع : حدوداً ضاق لها صدرى وعلمت أن آداب الدين وصدق الورع بحر لا ينبجو من الفرق فيه شبهى ولا يقوم بحدوده مثلى .

فتبين لي فضائلهم واتضح نصيحهم وأيقنت أنهم العالمون بطريق الآخرة والمتأسون بالمرسلين والمصابيح لمن استضاء بهم والمهادر لمن

استرشدهم ، فأصبحت راغباً في مذهبهم مقتبساً من مواعظهم قابلاً لأدبهم
محياً لطاعتهم ، لأعدل بهم شيئاً ولا أؤثر عليهم أحداً .
ففتح الله لي علماً انفتح لي برهانه وأنار لي فضله ورحوت النجاة
لمن أقر به أو انجله ، وأيقنت بالغوث لمن عمل به ورأيت الاعوجاج فيمن
خالفه ، ورأيت الدين متراكماً على قلب من جهله وججده ورأيت الحججة
البالغة لمن فهمه ، ورأيت انجاله والعمل بحدوده واجبا على ، واعتقدته
في سريرتي ، وانطويت عليه بضهيري ، وجعلته أساس ديني ، وبنيت عليه
أهمالي ، وسألت الله عز وجل أن يوزعني شكر ما أنعم به علي وأن يقويني
على القيام بحدود ما عرفني به ، مع معرفتي بتهصيري في ذلك وأنى
لا أدرك شكره أبداً^(١) .

٥ - الامام محمد بن محمد الغزالي :

كان الغزالي متلهفا على المعرفة محبا للاطلاع والدرس والبحث غارقا
في محيط الفلسفة والعلم للدرجة التي قيل عنه فيها إنه بلع الفلاسفة ولم
يستطع أن يتقيأهم .

غير أن الغزالي مع كثرة اطلاعه وتنقيبه لم يجد في المذاهب الفكرية
ما يرضيه ولم يجد في الأدلة العقلية المؤسسة عايمها هذه المذاهب ما يقنعه .

واقفه الاسكرية :

لقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبه وديدنه ومن ثم
طفق يبعث عن العلم اليقيني الذي يكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى

(١) حارث الحامسي : النصائح (مخطوط) دار الكتب المصرية .

معه ريب ، ولا يقارنه بإمكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك^(١) .

منهجه في المعرفة :

ولما كان هذا الإدراك غير متحقق إلا في الحدسيات والضروريات فقد صرف همه إليها وجذب انتباهه نحوها غير أنه لما إن أنس إليها حتى بدأ الشك يساوره في كل حاسة منها ، وانتهى به طول الشك إلى عدم الثقة فيها ؛ ذلك لأن حاسة منها كحاسة البصر مثلا تنظر إلى الظل فتراه واقفا غير متحرك فتجزم تبعاً لذلك بنفي الحركة عليه واسكنها بعد التحرنة والمشاهدة بعد ساعة تعود فتؤكّد ثبوت الحركة له ، وتنظر إلى السكوك أيضا فتراه صغيرا في مقدار دينار ، ثم تأتي الأداة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار^(٢) .

بمثل هذا وذاك من السواهد شك الغزالي حتى في الحدسيات والضروريات ونبع ذلك شكه في العقليات التي هي من حيث الضروريات إذ رأى أن ثفته فيها لا تعدو ثفته في المحسوسات ولئن عثر على ما يكذب المحسوسات فلا يستبعد أن يكون هناك حاكم أقوى من العقل يكذب العقليات على أن عدم تجليه لا يدل على استحالة^(٣) .

وإزاء هذا وذاك من المواقف الفكرية ازداد على الغزالي شكه وطال عليه أمد القلق والحيرة وأعضل عليه الداء ، فكث قريبا من

(١) المراد : المقدم من الصلال . تحفة في الدكتور عبد العليم محمود ص ٧١

(٢) نفسه ص ٧٣

(٣) نفسه ص ٧٤

بشهرين كان فيهما على السفسطة بحكم الحال لا بحكم المنطق والقال .
وأخيرا اجتاز شفا جرف الشك إلى اليقين الثابت والاطمئنان
الراستخ ، ولم يكن ذلك بمنظم دليل وترتيب كلام بل - كما يقول -
« بنور قذفه الله في صدري » وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف
من طن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله
الواسعة (١) .

٦- ديكاوت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) (١) .

يكاد يجمع الباحثون على أن ديكاوت هو الذى وضع أساس
الفلسفة الحديثة ؛ إذ رفض - كما هو معروف - جميع الأساليب الفكرية
القديمة ، وأحيا نهج الغزالي فى وضع طريقة تقوم على دعامة من صدق
اليقين جاءلا متياس الحقائق وضوحها وجلاءها وطهورها أمام
مرآة العقل

منهج في المعرفة :

بدأ ديكاوت طريقه نحو المعرفة باستعراض الأفكار الموروثة
والمكتسبة ، وتبين له أنها مشوشة وباطلة فنبذها وأعرض عنها وادعى
أن الصورة والجسم والامتداد والحركة والمكان من خلق الخيال ،
واكتنه لم يلبث أن تساءل - وقد طرح جميع الموجودات - إن كانت
تلك الموجودات المطروحة تشمل وجوده هو شخصياً .

(٢) الغزالي : المنقذ من الضلال تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ص ٧٥

(٣) من الغريب أن الأستاذ يوسف على يوسف صاحب كتاب دروس فى الفلسفة
بهمل الحديث عن ديكاوت ويدعى أن واضح مذهب الشك هو الفيلسوف الانجليزى
(هيوم) راجع ص ١٥٢

وهنا انتهى إلى حقيقة لم يتمكن من زرععتها وتنتيجة لم يتمكن من نقضها ؛ ذلك لأنه وهو يشك وينكر يقوم بعمل فكبرى أو كل معلول، فلا بد له من علة ، فهذا الشك يستلزم إذن فاعلا ويمتضى وجود ذات مفكرة أحدثه ولا نستطيع أن نتصوره دون أن نتصور منشأه ومصدره. بل العكس كلما أمعنا في الشك قادنا ذلك إلى الاعتراف بوجود تلك الذات الشاكية المفكرة^(١) .

الخلاصة :

تلك هي مهمة الشك في الحياة العقلية وهي — كما ترى — مهمة خطيرة كما أن النتائج التي تترتب عليها إيجابا وسلبا تماثلها في الخطورة . وقد دلت الدراسات والتجارب العملية على أن العصور التي لا يظهر فيها الشك يسود الركود حياتها العقلية ويستولى الجود على نظمها السياسية والاقتصادية ولا يظهر التجديد في دوائرها العنوية .

كما دلت الدراسات والتجارب العملية كذلك على أن العصور التي يظهر فيها الشك تكثر فيها البحوث العلمية والفلسفية والسياسية

(١) الدكتور يحيى هويدى: مقدمة في الفلسفة العامة ص ١٢٤-١٢٦ ، أ. د. وولف عرض تاريخ الفلسفة والعلم ترجمة محمد عبد الواحد خلاب ص ٥٤-٥٥ ، والدكتور نظمي لوقا : الحقيقة تناول فلسفي ص ٤٩ فما بعدها ، ومحمد بدر : تاريخ الفلسفة ترجمة حسن حسين ص ١٣ ، وروبييه ديكرارت : مقال عن المذهب ترجمة محمد محمد الخضرى الصفحات ١٦ ، ٥٠-٥٨ ، وتوفيق الطويل : أسس الفلسفة ص ١٣٢-١٣٣ ، ومحمد علي مصطفى : تاريخ الفلسفة ص ٥٦-٥٧ ، والدكتور إبراهيم منصور والأستاذ يوسف كرم : دروس في تاريخ الفلسفة ص ١٣٧ وديكرارت : مبادئ الفلسفة ترجمة د . عثمان أمين ص ٥٦ و أ . س . راورت : مبادئ الفلسفة ترجمة أحمد أمين ص ٣٣ ، والدكتور إمام عبد الفتاح إمام : مدخل إلى الفلسفة ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، وبرتراند رسل ، مشاكل الفلسفة ، الصفحات ١٥٣-١٥٥

والاجتماعية وغيرها كما تظهر فيها تبعا لذلك روح الحرية الفكرية والاستقلال الذهني^(١).

على أن الشك نوعان شك منهجي وهو ما ذكرناه وآخر مطلق سنذكره فيما بعد ، وهما معا يمثلان معلما من معالم الفكر الفلسفي .

(١) أسس الفلسفة الصفحات ٥٦-١٢٨ ومدخل إلى الفلسفة ص ٢٣٨ - ٣٠٥

الشك المطلق

تمهيد :

أنكر أنصار هذا المذهب ممن عرفوا بالسوفسطائيين كل نزعة عامة تمحو ذات الفرد في ذات الجماعة كما أنكروا كذلك أن تكون الروح الموضوعية هي الأساس في كل نظرة في الوجود والحياة واسمعا ضوا بكل ذلك نزعة فردية جعلوها المقياس الوحيد في النظر إلى الأشياء ، الأمر الذي أدى إلى أن يصبح الإنسان هو مقياس كل شيء : مقياس وجود الأشياء الموجودة وما لا يوجد^(١) .

وقد ترتب على هذا التغيير في المنهج الفلسفي أن انتقلت مشكلة البحث من عالم الطبيعة إلى عالم الأخلاق والسياسة أو إلى عالم الإنسان^(٢) وفي هذا الاطار كان للسوفسطائيين دور فكري خاص كان وما يزال موضع جدل بين العلماء^(٣) .

(١) د . أميرة مطر : الفلسفة عند اليونان ص ١٣٢ ، وعبد الرحمن بدوي :

ربيع امكر اليوناني ص ١٦٨

(٢) أميرة مطر : الفلسفة عند اليونان ص ١٣١

(٣) يوسف علي يوسف : دروس في تاريخ الفلسفة الصفحات ١٠-١٢ ، ومحمد علي

مصطفى : معالم تاريخ الفلسفة ص ١٠١-٥٦ ، وعبد فراج : الفلسفة التوجسية ص ٢٦-٣٢ ، و د . يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٧-٦٢ وحاء في المرجع الأخير عنهم ما يلي : فمكس السوفسطائيون الآيه وتزلوا بالاسله الى مستوى الحرفة والصنائم فلحقهم الزرايه .

لم ياحذوا بالعلم على أنه معرفة الحقيقة ولم يكثرثوا لقيمتها الذاتية ولا لنظرة العقل التي تدفعه لطلب التماثل الحق بل استعملوا العلم وسيلة لجر منفعة غريبة عن اعهم وهزلوا من العقل فكانوا معادين وخطباء ولم يكونوا حكماء .

هذا هو الموقف الشاذ الأثيم الذي جعل اسمهم سبة على مر الأجيال (ص ٥٩) .

فقد رأى بعضهم أن الشك المطلق الذي يتسم به منهجهم الفسكوري
ينأى بهم عن ميدان الشك الهادف إلى ميدان الشك الهادم .
وبذا ينتظمون مع الشكك في نزعة واحدة^(١)

ورأى آخرون أن الدور الذي أداه السوفسطائيون لا يماثل دور
الشكك بل ولا يتاربه . . فهو لاء في نظر هذا البعض أصحاب فلسفة
هادفة لا هادمة غايتها التنوير والتبصير ووسيلتها ذات الفرد ، وباعها
انتطور الحضارى للفكر الإنسانى .

على أنه أيا كان الدور الذي أداه السوفسطائيون في سير الفكر
الإنسانى فإن المباحثات المنطقية والمغالطات الديالكتيكية^(٢) التي امتاز

(١) الشكك هم الذين لا يشكون إلا حساً في الشك ويصطمون اللادريته على العالم .
راجع ديكراب : مقال عن النهج القسم الثالث ص ٤٥-٤٦ ، والدكتور نظمي لونا المهمة
ص ٦٧ ، وفي تاريخ الفلماة اليد نائمة ليدس كرم . . لأن الشكك هم رجاء غداً وأعلى أمرهم
فقدوا الإيمان بالحق والخير في بيعة بيئات فيب الأفسكار وسدت الأبواب إلى حد بعيد
فانزلوا أنفسهم لا يوحيون ولا يفنون ولما يقول الفرد مهم لأدرى ص ٣١١-٣١٢
من المرجع المذكور ، وأيضاً المعرفة الشنيطى ص ٨٠ ، وراجع عن - اللادرية محمد جواد
مستبة : معالم الفلماة الإسلامية لبنان ٧٣ ص ٩١

وحاء في أمحات الدكتور عبد الحلیم محمود عن التصوف والشك ما يأتي : الشك - شخص
لا يترقب بحقيقة أو لا يعترف بأن هناك طريقاً يوصل إلى معرفتها على قرص ولودها
وعيناً تحاول أن تفهمه بمعينة ما . إذ هو لا يقتنع إلا بالشك ولا يرضى عن رأيه بديلاً .
راجع ص ٢٧٨ من المنقذ من الضلال مع أمحات في التصوف ودراسات عن الإمام العزالي
للدكتور عبد الحلیم محرم

(٢) الديالكتك كلمة يونانية تعنى المناقشة والجدال التي ترمى إلى كشف الحقيقة وكان
أرسطو يستعملها بمعنى الاستدلال القائم على الأدلة السائمة وليس على المقدمات اليقينية
كالبرهان واستعملها أفلاطون والوسطى بمعنى المنطق الصورى . . على أن يجعل بعنبره
منطق الفكر وقانون الوجود حيث أن المعقول واحدة هو الموجود ، أما ما ركس به - عمله
بمعنى قانون الحركة المادية في الوجود وبالتالي منهج المعرفة بهذا الوجود المادى ص ١٨٨

بها منهجهم البرهاني أتماحت لمنقديهم أن يشيعوا فكرة الهدم عنهم .
لقد كان في استطاعة البعض منهم - بمتهمه في المجادلة كما قررنا -
أن يظهر الصغير كبيراً والكبير صغيراً ويضفي على القديم البالي سمة
الحديث وبريقه وعلى الحديث سمة القديم (١) .
كما كان في استطاعتهم كذلك حسب رأى منتقديهم لإرباك الخصم
في المجادلة وإلباس الباطل أمامة بمهارة ثوب الحق الذي يبهر الأبصار ،
عمادهم في كل ذلك زخرف الكلام وذلاقة اللسان وبلاغة المتعلق وشدة
المعارضة وسرعة الخاطر وحسن إيراد الحجج شأن الحمى الماهر الذي
يتولى الدفاع فلا يزال يفنن في العبارة ويكثر من الاستشهاد . ويلجأ
إلى العاطفة وينسج في القضاء كما من الوجدان ويسترحمهم لموكله حتى
يقضوا ببراءته (٢) .

نماذج من الشك المطلق :

وللتدليل على دعوى الشك الهادم عند السوفسطائيين أورد
منتقدوهم أمثلة كثيرة منها :

(أ) شكهم في إمكان الحكم العقلي (العلم) إذ أورد السوفسطائيون
حججاً ثلاثاً لتأييد زعمهم قائلوا :

١ - إن وجدت الحقيقة فهي لا تخلو أن تكون إما محسوسة وإما

(١) د أميرة مطر : الفلسفة عند اليونان ص ١٢٦ ، وهايندوس ترجمة د . أميرة

مطر ص ٢٦٧ : القاهرة دار المعارف ١٩٦٨

(٢) محمد علي مصطفى : تاريخ الفلسفة ص ٥٢ طبع مصر ١٩٢٨-١٩٢٩ م

معقولة ولكنها ليست محسوسة لأن كل ما هو محسوس فهو مدرك بالحس .
وليس الحقيقة مدركة بالحس لأن الإحساس بذاته خلو من البرهان .
وليس يمكن إدراك الحقيقة دون البرهان فالحقيقة ليست محسوسة وهي
ليست معقولة وإلا لم يكن شيء محسوس حقيتها وهذا باطل .

٢ - لا يستطيع الجسم أن يحدث جسما إذ يستحيل أن يحدث شيء
شيئا لم يكن موجودا وأن يصير الواحد اثنين ولا يستطيع الاجسدى أن
يحدث لاجسميا لنفس السبب ولسبب آخر هو أن الفعل والانفعال
يقتضيان التماس واللاجسدى منزه عن التماس فلا يفعل ولا ينفعل
ولا يستطيع الجسم أن يحدث لاجسميا ولا الاجسدى يحدث جسميا لأن
الجسم لا يحتوى طبيعة الاجسدى واللاجسدى لا يحتوى طبيعة الجسم
فالعملية ممنوعة ..

٣ - يذهب الناس عامتهم وخاصتهم إلى أن الظواهر علامات للعامل
الخفية ولكن الظواهر أو العلامات تظهر واحدة للجميع ولا تفسر على
نحو واحد مثل أعراض الأمراض تظهر للأطباء واحدة ويختلفون في
تأويلها والاختلافات كثيرة من هذا القبيل في جميع فروع المعرفة
فالعلم إذن ممنوع^(١) .

(ب) شكهم في وجود اللا وجود ووجود الوجود حيث تعرضوا

للقضاي الثلاث : -

الأولى : أنه لا شيء ..

(١) د . نظمي لوطا : الحقيقة تناول فلسفى ص ٣٣ - ٣٤

الثانية : أنه حتى لو وجد شيء فإن هذا الشيء لا يمكن أن يد
الثالثة : أنه حتى لو أمكن إدراكه فإنه لا يمكن أن يعتبر
ويوصل إلى الغير

في نقض القضية الأولى .

وقد ساقوا أدلتهم على النحو الآتي :

إذا كان هناك شيء فإن هذا الشيء إما أن يكون لا موج
وإما أن يكون موجوداً وإما أن يكون الاثنين معاً .

في نقض الافتراض الأول :

قالوا فإن كان لا موجوداً فإن الشيء الواحد يتصف بصفة و
وهذا محال وذلك لأن اللاوجود معناه عدم الوجود كما أن معناه
باحة أخرى مادمتنا نتول إن شيئاً ما موجوداً هو لاوجود أن اللاو
موجود وعلى هذا فبتصف الشيء بصفة ونقيضها وهذا محال . ثم إ
أعطينا الوجود للإوجود فإن ذلك يتم بأن تسلب الوجود وجرده
تضع هذا الوجود للوجود وهذا محال لأنه لا يمكن أن تسلب
الوجود الوجود وإذن فهذا الشيء لا يمكن أن يكون لا موجوداً .

وثانياً : لا يمكن هذا الشيء أن يكون موجوداً فإنه يلاحظ

أنه إما أن يكون قديماً وإما أن يكون حادثاً فإذا قلنا إنه حا
فمعنى هذا أنه حادث عن شيء آخر وهذا الشيء الآخر سيكون ال
فيكون الوجود إذن ناشئاً عن العدم وهذا مستحيل : هذا إذا تصو
أن هذا الوجود قد نشأ عن اللاوجود .

أما إذا قلنا إنه ننا عن الوجود فهذا أيضاً مستحيل ؛ لأنه كيف يصير الوجود وجوداً ، وذلك لأن التغيير معناه الانتقال من حالة إلى أخرى .

هذا وإما قلنا إنه حادث عن لاوجود وهذا اللاوجود موجود فاننا سنتع إذن في نفس الخطأ من حيث إن هذا اللاوجود الموجود سينطبق عليه نفس الكلام عن الوجود بحسبانه صادرا عن الوجود . وإدا كان قديما فمضى هذا أنه لا ابتداء له وما ليس له ابتداء هو الامتناهى واللامتناهى لا يمكن أن يوجد في غيره وإلا لم يكن لامتناهيا ، كما لا يمكن أن يوجد في نفسه ، لأنه لا بد من التفرقة بين الحارى والمحوى .

وعلى ذلك فإنه إذا كان الوجود قديما فإنه سيوجد لا في محل (في غير مكان) والشئ الذى يوجد لا في محل لا يمكن أن يكون موجودا . وعلى ذلك فسواء أكان هذا الشئ موجودا قديما أم محدثا فإنه لا يمكن أن يكون موجوداً .

في نقض الافتراض الثانى :

يلاحظ أن الوجود إما أن يكون واحدا أو متعدداً فاذا كان واحدا فمضى هذا أنه وحدة والوحدة هى الشئ الذى ليس له مقدار مادى وما ليس له مقدار مادى هو لانىء فاذا كان الوجود واحدا فلن يكون إذن شيئا .

وبعد هذا فإذا كان الوجود متعددا فمضى أنه متعدد أنه مكون من

وحدات والوحدة كما قلنا لاشيء . وعلى هذا فسيكون الموجود مكونا من عدة لاشيء أى من لاشيء أيضاً .

في نقض الافتراض الثالث :

قالوا إنه لما كان الشيء لا يمكن أن يكون لا وجوداً كما لا يمكن أن يكون وجوداً فإنه بالأحرى لا يمكن أن يكون الاثنين معاً .
وهذا يثبت بطلان الفرض الثالث ، ومن هذا كله يثبت بطلان القول بأن شيئاً ما موجوداً أو تبعاً لهذا ولا شيء موجود .

في نقض الفرضية الثانية :

قالوا إن الوجود أو الوجود غير المعلوم وإلا لكان كل معلوم موجوداً وحينئذ يكون الخطأ مستحيلاً ، ولما كان الخطأ موجوداً وممكناً فمعنى هذا أن الوجود غير المعلوم وإذا كانت الحال كذلك فكيف يمكن للوجود أن يكون معلوما مادام الاثنان مختلفين كل الاختلاف .

٣ - في نقض الفرضية الثالثة :

قالوا كيف يمكن للأصوات أن نعبر عن المرئيات مع أن الأصل أن الكلمات أو الأصوات تنشأ عن المرئيات ، وحتى لو سلمنا جدلاً بصحة هذا القول وهو أن المرئيات يمكن أن توصلها إلى إدراكنا الأصوات نقول إن ذلك معناه أن الشيء الواحد يوجد في مكانين مختلفين في آن واحد ، وذلك لأن السامع والقائل إن كان يريد هذا الأخير أن يلقى شيئاً إلى الاول فمعنى هذا أن الشيء الواحد موجود معاً عند السامع وعند القائل .

ولما كان من المستحيل أن يوجد نفس الشيء في مكانين مختلفين

بقي أن واحد فالفرض الأصلي باطل وتبعاً لهذا فإتصال المعلومات إلى الغير مستحيل^(١) .

شكهم في إمكان الحركة فقد أرادوا حججاً أربعا ضدها قالوا :
١ — إن الجسم المتحرك لن يبلغ إلى غايته إلا أن يقطع أولاً نصف المسافة إليها ونصف النصف وهكذا إلى ما لا نهاية ، ولما كان اجتياز اللانهاية ممتنعاً فإن الحركة ممتنعة .

وقد سمعوا هذا الدليل بدليل القسمة الثنائية أخذنا من فرض المقدار مركبا من أجزاء غير متناهية :

٢ — إذا فرضنا « أخيل » أو الأرنب ذا القدمين الخفيفين يسابق سحفاة وئى أبطأ الحيوانات وأن هذه السحفاة منندمة عليه بمسافة قصيرة وأهما يبدآن الحركة في وقت واحد فان أخيل لن يدرك السحفاة إلا أن يقطع المسافة الأولى الفاصلة بينهما ثم المسافة الثانية وهكذا إلى ما لا نهاية .

وقد سموا هذه الحجة باسم « أخيل » وهى كما ترى تشبه الحجة الأولى ، أو بالأحرى تعتمد على نفس فكرتها .

٣ — إن الزمان مؤلف من آتات غير متجزىء وترجع إلى أنه لما كان الشىء في مكان مساو له فان السهم في مروه يشغل في كل آن من آتات الزمان مكانا مساويا له ، فهو إذن لا يبرح المكان الذى يشغله في الزمن غير المتجزىء ومعنى ذلك أنه ساكن غير متحرك ، وهكذا في كل آن ، وقد سموا هذه الحجة باسم السهم .

(١) عبدالرحمن بدوى : ربيع الفكر اليونانى الصفحات ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩

٤ - إذا فرضنا أن هناك ثلاثة مجاميع كل منها مؤلف من وحدات أو نقط والثلاثة في الملعب

←

→

.

الواحد يشغل نصف الملعب إلى اليمين والآخر يشغل نصفه العار والثالث في الوسط .

ولنفرض أن الأول والثاني يتحركان بسرعة واحدة كل إلى الجهة المقابلة بينما الثالث ساكن في مكانه فإن الواحد منهما يذهب نهاية الآخر في زمن هو نصف الزمن الذي يقصيه للوصول إلى الساكن أى أن الانتقال من إحدى نقط المجموع الساكن إلى النقطتين التيها يتم في آن واحد هو ضعف الآن الذي يتم فيه الانتقال من إحدى نقط المجموع المتحرك إلى النقطة التي تليها فتقطع الحركة بنفس (من حيث إن طول الجميع واحد) وفي زمن معين وفي ضعفها فيكون نصف الزمن مساوياً لضعفه وهذا خلف وإذن فالحركة وهم سموا هذه الحجة بدليل الملعب (١) .

(١) د . أميرة مطر : الفلسفة عند اليونان ص ٩٣ - ٩٤ ، ويوسف كرم : الفلسفة اليونانية ص ٤١ - ٤٢ ، والغزالي : المنقذ من الضلال تحقيق د . عبد الحليم مم أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام الغزالي ص ٢٨٠ ، وقد قسم أخيل بايما فسرهما صاحب دروس في تاريخ الفلسفة بأنه البطل اليوناني (ص ٧) وشارل العارفة اليونانية ترجمة تيسير شيخ الأرض ص ٤٢ - ٤٣ والدكتور مصطفى الشنيطي : المعرفة ص ٩٧ فما بعدها . على أن ابن منظور في كتابه لسان العرب فصل حرف اللام مادة ج ١٣ ص ٢٤٤ - يفسر الأخيل بالشاهين وبطائر أخضر على لغة تخالط لونه وبالشراق وهو مشتموم . نقل العرب : أشأم من أخيل .

فصل الثاني

الدهشة

تمهيد :

الشك والدهشة توأمان لا يكادان ينفصلان في سيرهما العلمى وغالبا ماتسنتبع الدهشة رغبة ملحة في المعرفة، على أن الطريق نحوها تحفه الشكوك ويصاحبه القلق وتشيره الدهشة المستمرة عبر المعارف الجزئية التي تعترض طريق المنكر أو التأمل .

فالدهشة عماد التفلسف كما أنها عماد العلم والفن على السواء ، إنها الحياة الواعية للانسان . هي حياة اليقظة والانتباه التي توقف تيار الرتابة في حياة الفرد لتثير فيه القلق والحيرة وتدفعه نحو التدبر والتأمل^(١) . في الدهشة يختار الفكر مع نفسه . هذه الحيرة هي الدهشة التي لا بد منها لكي يكون فكر على الإطلاق ، وهي الدفعة التي لا بد منها لكي يستيقظ هذا الفكر فيعرف ويجرب أن العالم أعمق وأعظم وأغنى بالأسرار مما توحى إليه به حياته اليومية ، وأن الوجود بما هو موجود غنى بالأسرار ؛ لا لأنه غنى بالتناقض والمشقة والغموض بالنسبة للانسان بل لأن معين أسراره لا ينفد ومنبع نوره لا يغيض .

في الدهشة تصمت الحياة اليومية ولو للحظة واحدة لترى الحياة . ترفع الموجودات قناعها اليومي لتكشف عن وجه الوجود . على أن الدهشة المذكورة مازالت هي نفسها في حاجة إلى دهشة حقيقية تخلصها من قيود كل يوم^(٢) . دهشة تجعل الإنسان يرى المدهش فيما يألف

(١) لدكتور يحيى هويدى : مقدمة في الفلسفة العامة ص ٣٠

(٢) سعيد اسماعيل على : الفلسفة ص ٧٦ - ٧٧

والغريب فيما اعتاد والمجزأة فيما تقع عليه عيناها كل يوم .. هناك يعرف أنه كان يحس أنه يرى الأشياء وهو في الحقيقة أعمى عنها ، وأنه كان يحس أنه يعرف وهو في الحقيقة لا يعرف شيئا . هناك يبدأ فعل التماسف ومعه يبدأ القلق والخطر و يبدأ التفكير الفلسفي (١) .

الدهشة مبدأ يسرى في كل خطوة من خطوات الفلسفة . . وهي فورة من فورات العاطنة .. كما أنها هي التحديد الذي فيه ومن أجله ينكشف وجود الموجود وهي التناغم الذي من خلاله قيض الفلاسفة اليونانيين التجارب مع وجود الموجود (٢) .

على أن الدهشة لا تنشأ عادة إلا إثر مشكلة ولا تنفأ إلا إثر حيرة وقلق ؛ إذ الأصل في الحياة المسكربة هو الرتابة ولا تعبير رتابة الفكر إلا إثر مشكلة . والشاكل التي تعترض السكر أنواع ، منها ما يتصل بالبيئة ومنها ما يتصل بنزعات الفرد وميوله ومنها ما يربط بين هذه ونلك . على أنه أيا كان نوع المشكلة فإنها تثير في الفكر قلقا ، حيرة تسبقها دهشة قد تتناغم وقد تنهى تبعاً لدقة المشكلة وبساطتها وسرعة الوصول إلى الحل وبطئه .

هذا وقد يفكر الإنسان في مشكلة من المشكلات بدافع من حب الاستطلاع ، على أن حب الاستطلاع لا يلبث أن يتحول إلى رغبة جادة

(١) — م.د. علي : الفلسفة ص ٧٦-٧٧

(٢) مارس هيدجز : الفلسفة ، المبتدئين ، الناشر : دار الفكر ، القاهرة ١٩٧٤

ومحمد رجب ص ٦٩-٧٠ طبع القاهرة ١٩٧٤

تشغل عليه تفكيره ، ومن ثم يجد نفسه مدفوعا لمعرفة النتيجة إيجابا أو سلبا .

وحب الاستطلاع المذكور ليس قصرا على فرد دون آخر ، كما أنه كذلك ليس محصورا في ميدان معين لا يتعداه من ميادين المعرفة والبحت .

لقد دفع حب الاستطلاع كثيرا من العلماء والفلاسفة إلى اكتشاف نظريات جديدة واختراعات حديثة لا تزال حية حتى الآن . بل ولا زال حب الاستطلاع يطورها ويعدل فيها ويغيرها بين فترة وأخرى .

إن تاريخ العالم كله يشهد بأنه تاريخ الدهشة أو لحب الاستطلاع سواء أكان ذلك في مجال العلم أم في مجال الفلسفة ، والأمثلة على ذلك كثيرة نسجل طرفا منها فيما يلي :

في مجال العلم :

١ — يكتشف أرشميدس (٢٨٧ — ٣١٩ ق م) يوما وهو في الحمام أن أعضاءه التي تغمرها المياه في الحوض أخف وزنا من تلك التي تطفو على سطح الماء ، فتثير هذه الظاهرة انتباهه ، وتبعث فيه الدهشة ، فلا يلبث بعد البحث أن يكتشف للعالم قانون الأجسام الطافية^(١) .

٢ — يرى — نيوتن العفاجة تسقط من الشجرة على الأرض ، فينسكر مايا في هذه الظاهرة التي ألفت الناس جميعا رؤيتها دون دهشة

(١) توفيق الطويل : أسس الفلسفة ص ١٦٥

فتدبر ثم لا يلبث أن يهديه تفكيره أو تؤدي به دهشته إلى اكتشاف قانون الجاذبية الأرضية^(١).

وفي مجال الفلسفة :

١ — يلاحظ الإمام الغزالي أن هناك فرقا كبيرا بين ما يحكم به الحس وما يحكم به العقل ، فبينما يؤكد الحس البصرى مثلا أن الظل واقف غير متحرك يؤكد العقل ، اعتمادا على التجربة والمشاهدة بعد ساعة ، أنه متحرك ذرة ذرة بصورة يستحيل معه فيها الوقوف . وبينما يؤكد الحس أن السكوكب صغير مقدار دينار يؤكد العقل اعتمادا على الأدلة الهندسية أنه أكبر من الأرض في المقدار^(٢) .
وإثر الدهشة التي تنتاب الغزالي من جراء ما يحكم به الحس ويخالقه فيه العقل يقف الغزالي موقف المفكر الجائر ، فلا يلبث أن يهديه تفكيره إلى نبذ الإيمان بالحس والعقل على السواء .

(١) فلويد دارد : كتاب أئمة العلم والاختراع ص ٤٨

(٢) الإمام الغزالي : المنقذ من الضلال ص ٧٣

الفصل الثالث
التأمل والتفكير

تمهيد :

لعلنا لا نبالغ إن قلنا إن الفلسفة في صميمها منهج تأمل عقلي وتفكير منطقي مفتاحه الشك وأواره الدهشة وموضوعه المشكلة^(١) ومن ثم فهي لازمة للإنسان لزوم العنفس للحياة ، فهو لا يكاد يستغنى عنها سواء اقتنع بها أو لم يقتنع إذ هو في كلتا الحالتين مطالب بالفلسفة . يقول أرسطو إذا لزم التفلسف وجب أن تتنافس وإلا لم يلزم التفلسف وجب أيضاً أن تتلسف حتى تثبت عدم لزوم التفلسف^(٢) .

والإنسان مهما اختلفت آراؤه وتباينت ثقافته وكثرت أوقلت تجاربه هو دائماً شغوف بالمعرفة محب للاستطلاع دائم على التأمل والتفكير لا يفتأ يخوض غمار المشاكل وبصارع المعقد من القضايا والمسائل باذلاً في سبيل المعرفة جهده ووقته وماله سعيداً بما يلاقيه في سبيلها من تعب ، فرحاً بما يزيجه لأجلها من وقت ومال .

ميدان المعرفة :

إن ميدان المعرفة من الوسع بحيث لا يكاد ينتهي الإنسان من مشكلة إلا وجد نفسه مواجهها بأخرى ولا يتوصل إلى حل ما في قضية معينة إلا وجد نفسه أمام قضية أخرى تستحق التأمل والتفكير ، بل إن الإنسان حتى في الفترة التي لا يواجه فيها مشكلة يظل مواجهها لمشكلة.

(١) الشنيطي : المعرفة ص ٢٧ ، وبرتراند رسل ، مشاكل الفلسفة ص ٦٠

(٢) الشنيطي : المعرفة ص ١٥

أخرى هي عدم وجود مشكلة فالمشكلة على كل حال موجودة والتأمل فيها مستمر والتفكير فيها دائم .

على أن مجرد التساؤل أو الدهشة أمام سر من أسرار الوجود لا يكفي لتكوين موقف فلسفي، إذ لا بد أن تشير المشكلة تفكير الإنسان وتمحدي عقله وتفاعل مع بصيرته في محاولة لإدراك حل لتلك المشكلة .
النزعة التأملية :

والنزعة التأملية كما تنعكس على غير ذات الإنسان تنعكس كذلك على ذاته في محاولة منه للتعرف على مآلديه من قدرات ، وما في فكره من امكانيات (١) .

إنها محاولة من الإنسان لا منحان أداة التفكير التي يستخدمها ليطمئن قبل المضي في استعمالها إلى أنها صالحة للوظيفة التي أنيطت بها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ليلفت النظر إلى القوى غير المرئية التي تنظم علمه حياته وتدير له شؤنه ، يستوى في ذلك أن تكون نتيجة تأمله منققة مع افتراضاته أو غير متفقتة فقيما قال أرسطو إذا لزم الفلاسف وجب أن تنفلسف وإذا لم يلزم التفلسف وجب أيضا أن تفلسف حتى تثبت أيضا عدم لزوم التفلسف (٢) .

هذا ومن العلوم أننا حين نتكلم عن النزعة التأملية الذاتية لانعمم الحكم فيها على سواد الناس وعامتهم وإنما نخص ركب البشرية

(١) سيد اسماعيل علي : الفلسفة ص ٧٨

(٢) الشنيطي : المعركة ص ١٥

الفلسفى فإن سواد الناس لا يهتم بمشكلة الفكر والعامل الذاتى وإن شارك فى غيره على قدر ثقافته وقدرته العقلية بل إن ارتداد الفكر على ذاته وانعكاسه على نفسه ليكاد يبدو ظاهرة شاذة أو غير طبيعية ومع ذلك فإننا لا بجانب الصواب إن قلنا إن هذه الظاهرة نفسها هى من السمات الهامة التى تميز الفيلسوف عن غيره من عامة المفكرين لأن القياسوف هو المفكر الذى لا يكاد يكف عن امتحان قدرته الذهنية وسبر أغوارها وأنعمل على إدراك حدودها .

على أننا لا ندعى أن سبر الفكر وامتحان الذهن كفى وحده بكشف موضوعات المعرفة وسبر حقيقتها وإكثه فقط وسبيلة لإدراك الأشياء على حقيقتها .

إفصل الرابع

الكلية والعمومية

تكميل :

لئن وصفت الحكمة العملية بأنها حكمة جزئية فان الوصف الأمثل للحكمة النظرية أنها حكمة كلية . ولئن صح إطلاق لفظ الحكيم على من يحسن التصرف في المسائل الجزئية أو الشخصية فان إطلاقه على من يمارس الحكمة النظرية أصح وأولى^(١) ذلك لأن الأخير لا يسمح اغشاة الجزئيات أن تحجب عنه الرؤية الكلية للمسائل التفصيلية ، كما أنه لا يفتأ يبحث عن الأسس والأصول النظرية الكلية التي تقوم عليها المعتقدات الخاصة ، وهو حين يتناول الموجود أو الحياة أو الانسان أو القيم أو المثل لا ينظر إليها بالمجرد باحثا عن جزئياتها وإنما يشغل فكره بالأصول النظرية الكلية لها . ذلك لأن جزئيات الحياة أكبر من أن يستغرقها وقت فرد من الناس وأن مشاكلها أكثر من أن تحيط بها حلول جميع بني البشر ومن ثم فإن الاستغراق فيها وإن أفاد في حل بعض القضايا الجزئية لا يعطى الفرد تصورا كليا عنها فيبقى على الدوام محدود التفكير قاصر النظر معصوب البصر .

(١) توفيق الطويل : أسس الفاسفة ص ٥٣ وسعيد اسماعيل : الفلسفة ص ٨٢

خطوات الموقف الفلسفي

إن الموقف الفلسفي يقتضى من الفيلسوف حركتين متلازمتين .
لا يمكن أن تنفصل إحداها عن الأخرى .

١ - الحركة الأولى التى يرجع فيها الفكر إلى نفسه مبتعدا عن
جزئيات الحياة التى يعيشها فى نوع من الخلوة العقلية والتي يحل محلها
الأشياء بطريقة تأملية رافضا فى هذه الحركة أن يترك نفسه فى تيار
الحياة العادى الدارج^(١) .

٢ - الحركة الثانية التى يعود فيها الفكر إلى الواقع لينفهمه بعد
أن يكون قد أملى عليه التأمل العقلى فى الحركة السابقة منهجا خاصا فى
البحث يحفزه ألا يحفل إلا بأكثر المسائل عموما كالوجود وموقف
الإنسان منه واتصاله به والحركة المستمرة بين الوجود والإنسان
وما يشبه ذلك من المسائل الكلية . هذا وعلى الباحث وهو يساوى بين
الحركتين السابقتين أن يحذر الانزلاق إلى تيار التفصيلات المادية
فيغمره فيض جزئياتها الذى لا ينضب ، ويجرفه سيلها الذى لا يهدأ ،
كما يحذر كذلك الانفصال عن الحياة المادية والانصهار فى بوتقة الحياة
العقلية ؛ إذ أن تيار هذه كتلك جارف .

والموقف المحمود هو موقف الوسط كما عبرت عنه ديوتما تجيب
سقراط على سؤاله .

(١) الدكتور يحيى هويندى ؛ مقدمة فى الفلسفة العامة ص ٣٥-٣٦

من هم الفلاسفة ياديوتيا إن لم يكونوا الحكماء ولا الجهلاء .
نقول إن هذا الأمر واضح حتى للطفل الصغير إنهم أولئك الذين
يشعلون من الثمتين مكان الوسط^(١) .

أو كما عبر بذلك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : خير
الأمور أوسطها .

بين النظرية والتطبيق :

هذا ويخطيء الذين يتوهمون أن العاوم تقصد إلى المعرفة لذاتها ،
وأن التفكير المفرد مقطوع الصلة بمطالب الحياة العملية إذ الواقع أن
كل بحث وراء الحقيقة ليس إلا طريقة لإيجاد وسائل تخدم حياتنا العملية
ومن ثم كان موضوع التفكير عند ديوجني خطة يراد بها تحقيق فعل
من الأفعال^(٢) .

كما أن موضوعه عند شيشرون تدبير الحياة العملية للإنسان
يقول : أبتها الفلسفة أنت المدبرة لحياتنا أنت صديقة الفضيلة وعدو
الرديلة ماذا نكون ؟ وماذا تكون حياة الإنسان لولاله؟^(٣) .

(١) د . أميرة مطر : الفلسفة عند اليونان ص ٣٣٣ ، ويوسف كرم : تاريخ الفلسفة
اليونانية ص ٢٤٧ و دكتور زكي امماعيل : الفلسفة ص ٥٢ - ٥٣
(٢) توفيق الطويل : أسس الفلسفة ٤٠٥
(٣) مدخل إلى الفلسفة ص ٢٢ .

الفصل الخامس

الاستقلال

أو

الحرية الفكرية

الاستقلال أو الحرية الفكرية (١)

تمهيد :

تكاد تكون العاشنة هي العلم الوحيد الذي يستقل كل فرد فيه برأيه ويتفرد كل باحث فيه بنسكده ، فلا يقلد آراء من سبقوه ولا يتبع أفكار من عاصروه . فأسفته الذاتية هي اقياس الذي يحكم به على نفسه والآخرين . ونتائج دراساته الفكرية هي الميزان الذي يزن به صواب المواقفين وخطأ المعارضين (٢) .

الحق عنده هو ما يوصل إليه ، والباطل لديه هو ما لم يركن إليه ، فأسفته صواب تحتمل الخطأ ، وفلسفة غيره خطأ يحتمل الصواب . ذلك هو منهج كل فيلسوف وطريق كل باحث في ميدان المعرفة

(١) يضيف بعض كتاب الفلسفة صفات أخرى لعالم الفاسفة أو لخصائصها منها :
(١) سعة الأفق والاشتراد بما تشعر به الحرية وتبليغ العقل (أسس الفلسفة ٢١٦) ،
وهو يدعى : مقدمة في الفلسفة العامة ص ٣٣ - ٣٤ (٢) المرونة والتسامح وسعة الصدر
والهدوء والازان (إمام عبدالمتاح : مدخل إلى الفلسفة ص ٨٣) (٣) الارتباب - والتعاليق
المؤقت للحكم (٤) النظر العقلي (٥) المناجزة (٦) العجرد عن العاطفة والافعال . أسس
الفلسفة ص ٢١٦ - ٢١٨

وعندى أن سعة الأفق من سمات كل منصف فيلسوف كان أم غير فيلسوف - أما المعرفة
والهدوء فهما سماتان خلفيتان قد يتصف بهما الفيلسوف وقد لا يتصف - فهما ليسا معلمين
من معالم الفلسفة ولأما هما معلمان من معالم طباع بعض البشر (حود : فصول في الفلسفة
ومداهمها ص ١١ و ١٧٥) أما الصفات الأربع الأخيرة فهي في الواقع تكرار لما ذكرناه
أو أشرفنا إليه في الهاش لإد الازنياب هو الفك - والنظر العقلي أو المناجزة هما التأمل
والعجرد عن العاطفة هو نفس موضوع البريه الفكرية إذ لو كان الفكر أسير العاطفة
أو الافعال لما كان فكراً حراً ولما انصف بالاستقلال .

(٢) الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد .

الفكرية . إنه المنهج الذى يجسد مسار الفلسفة غير الملتزمة عن غيره .
من مسارات الفكر الملتزم دينيا كان هذا الفكر أم علميا أم غير ذلك .

الفلسفة الملتزمة وغير الملتزمة :

ولئن كانت الفلسفة الملتزمة تبدأ من منطلق عقائدى محدد وتسلم
بموضوع فكري معين^(١) فان الفلسفة غير الملتزمة لا تسلم بشيء قط قبل
بحثه وتحليله والبرهنة عليه ، كما لا تقبل شيئا على أنه حق ما لم تعلم يقيناً
أنه كذلك^(٢) . فوقف الفيلسوف إذن موقف قاض عادل تعرض عليه
قضية لا يكون فيها رأيا حتى يسمع حجج هؤلاء ويزنها كلها بميزان دقيق
من غير تحيز ثم يكون فيها رأيه ويصدر فيها حكمه^(٣) .

العلم اليقيني في الفلسفة :

والعلم اليقيني في الفلسفة هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى
فيه ريب ولا يقارنه بإمكان العلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل
الأمان من الخطأ ينبغى أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهار
بطلانه — مثلا — من يقاب الحجر ذهبيا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك
شكا ولا إنكارا فاني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة .
فلو قال لى قائل لا : بل الثلاثة أكثر بدليل أنى أقلب العصا ثعبانا
وقاها وشاهدت ذلك منه لم أشك بسببه في معرفتى ولم يحصل لى منه .

(١) الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد ص ١٩

(٢) ديكرت : منال عن المنهج ترجمة محمود محمد الحضري من المقدمة .

(٣) وأحمد . بن : ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٨

إلا التعجب من كيفية قدرته عليه . فأما الشك فيما علمته و^(١) .
فالاستقلال إذن أو الحرية الفكرية هي عماد النياسوف في الوصول
إلى المعرفة التي لا تقبل الشك . المعرفة التي لا تسكتسب من الوراثية
أو البيئة أو المدرسة أو المجتمع وإنما من ذات الفرد . . حيث يفك نفسه
من رابطة التقليد ويكسر من فكره قيد العقائد الموروثة فلا يكون لغير
عقله عليه سلطان ولا لسوى فكره عليه موجه^(٢) الحرية التي تتيح له
انتقاد رأى أستاذه^(٣) ورأى والده^(٤) ورأى الناس أجمعين^(٥) بل تتيح
له انتقاد رأيه هو شخصيا فيما هو قبل معلومات يتطرق إليها الشك
ويشورها الخطأ والذسيان^(٦) .

-
- (١) العزالي : المنقذ من الضلال بتحقيق الدكتور عبد الملم محمود ص ٧١ - ٧٢
هذا ويلاحظ أن الدليل الذى استعمله ديكارت للوصول إلى المعرفة الحقة يشبه حتى في
تفصيلاته وأمثله دليل الإمام العزالي - قارن دليل ديكارت في كتابه مقال عن المنهج
القسم الأول - بما جاء في كتاب العزالي المنقذ من الضلال .
- (٢) كارل يسيرز : نهج الفلسفة ترجمة الدكتور عادى العدا الصفحات ١٦١ - ١٦٢
وديكارت مقال عن المنهج ص ١٥ وهامش نفس الصفحة ، وأ- س المسفة ص ٢١٤
- (٣) مثاله ماحدث من أرسطو (لى أحب أفلاطون وأحد الحق ولكن حتى للحق
أعظم) مدخل إلى الفلسفة ص ٨٤
- (٤) مثاله ماحدث من سيدنا إبراهيم عليه السلام :
(يا أبت لى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فابنى أهدك . : الح مريم ٤٣) .
- (٥) مثاله ماحدث من المحاسبي والعزالي وديكارت .
- (٦) مثاله ماحدث من العزالي وراجع أيضا هويدى : مقدمته مع الفلسفة العامة-
ص ٣٣ - ٣٤

في إطار الدين

تمهيد :

لئن كان موضوع الفلسفة العقلية طبيعياً مكتسباً بالعقل أو الحس^(١) متطوراً بالدربة والمران فإن موضوع الفلسفة القلبية فوق الطبيعة تعدى وسيلة المعرفة فيه الاطار السابق لتشمل إلى جانبه .

٢ - العلم اللدني أو المعرفة الغيبية .

٣ - الفراسة .

٤ - الرؤى .

٥ - الوحي^(٢) .

ولئن كان عماد الفلسفة العقلية مبنيًا على الحسّات والضروريات^(٣) فإن عماده في مجال الفلسفة القلبية قائم على ما هو أوثق منها وأثبت بل أعم وأشمل .

ولئن كان المصدر المباشر للفلسفة العقلية (غير الملزمة) ذات الفرد فإن المصدر المباشر للمذئنة القلبية ذات الاله الخالق^(٤) .

(١) نوفيق الطويل : أسس الفلسفة ص ٣٥٤ والدكتور محمد علي أبو ريان أصول الفلسفة الإشراقية ص ٢٣٥

(٢) د . مدكور ويوسف كرم : دروس في تاريخ الفلسفة ص ٤٨

(٣) العزالي : المنقذ من الضلال ص ٧٣ وابن خلدون : المقدمة ومحمد رشيد رضا :

الوحي المحمدي ص ٢١ و د محمد كمال جعفر : دراسات فلسفية وأخلاقية ص ٨٠ لها

بعدها و د . علي أبو ريان : أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي ص ٣٢٥

و د إبراهيم إبراهيم هلال : نظرية المعرفة الإشراقية وأثرها في الطرح لدى التنوية

ج ١ ص ١١١ لها بعدها و ص ١٣٣ لها بعدها .

(٤) محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ص ٣١ لها بعدها .

فالفلسفة القلبية إذن تباين الفلسفة العقلية في الالتزام والوسيلة والمصدر المباشر^(١) وهي على هذا تشرف على الفلسفة العقلية بإشرافا يمكنها من توجيهها وإصلاح خط سيرها^(٢) بل تعبيد هذا الخط بالأسس والمبادئ التي هي بمثابة - الضروريات في التفكير .

قوام الفلسفة القلبية :

إن قوام الفلسفة القلبية يعتمد على التوفيق بين مقتضيات الشرائع وموحيات العقول^(٣) حيث إنه لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول فكلاهما لازم للآخر كما يقول الإمام الغزالي ، ويضيف وهو يابنخص اتجاه هذه المدرسة قوله : الواجب المحتموم في قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد والاعتماد على الصراط المستقيم فكلا طرفي قصد الأمور ذميمة وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر ، وينكر مناهج البحث والنظر أو يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر وكيف يهتدى إلى الصواب من اقتنى محص العقل واقتصر وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر . فليت شعري ! كيف يفرغ إلى العقل من حيث يعتريه العي .

(١) دكتور : مذكور وكرم . دروس في تاريخ الفلسفة ص ٤٨ - ٤٩ والدكتور محمد علي أبو ريان أصول الفلسفة الإشراقية ص ٣١٤ و د. محمد كمال : من قضايا الفكر ص ٦٦

(٢) دروس في تاريخ الفلسفة ص ٤٨

(٣) الرازي : أساس التقديس ط القاهرة (غفل من التاريخ) ص ٣١٠ فما بعدها والمذكور : محمد كمال إبراهيم جعفر : دراسات فلسفية وأخلاقية من ٨١ فما بعدها و د. محمد كمال جعفر : من قضايا الفسكون الإسلامي .

والحصر أو لا يعلم أن خطأ العقل قاصر منحصر هيئات قد خاب على
القطع والبهتان وتعثر بأذيال الضلالات من لم يجمع بمقالييف الشرع والعقل
هذا الشغتا .

فمثال العقل البصر السليم عن الآفات والاذاء ومثال القرآن الشمس
المنتشرة الضياء فأخلاق بأن يكون طالب الاهتداء المستغنى إذا
استغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء .

فالمعرض عن العقل مكنتفيا بنور القرآن مثاله المتعرض لنور الشمس
مغمضا للاجفان فلا فرق بينه وبين العميان . فالعقل مع الشرع نور على
نور ، والملاحظ بالعين العور لأحدهما على الخصوص متدل بحبل غرور^(١)
هذا ويتضح من النص السابق أن المدرسة الفلسفية القلبية أو الغيبية
ترى أن الطريق المؤدى إلى المعرفة ليس قصرا على العقل وحده كما أنه
ليس قصرا على القلب وحده فكلاهما يكمل الآخر ويدعمه . كما ترى
أن ظن الكشوف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيقتا رحمة الله الواسعة^(٢)
ذلك لأن تحديد صفات الشيء وكل ما يلزم عنه إنما يأتي تبعا لتحديد
ماهيته ، فبالتقدير الذى نعرف به ماهية الشيء تكون معرفتنا لخراجه
وصفته التى تلزم عنه .

ومعلوم أن حقيقة الله وصفاته غير حقيقة الإنسان وصفاته ، كما أن
ماهية المعقول الصرف غير ماهية المحسوس . ومن ثم فإنه من غير

(١) الإمام الغزالي : الاقتصاد والاعتقاد ص ٣ — ٤

(٢) الإمام الغزالي : المنقذ من الضلال تحقيق الدكتور عبد الجليم محمود ص ٧٥ .

الممكن أن تنتج أو تدرك معرفة أخرى تبني على المحسوس وأخرى لاصلة لها بالمحسوس . . على أن غاية ما تدركه مثل تلك المعرفة أنها تؤكد وجود المعقرلات أو وجود الله إعتقاداً على ما تخلفه تلك المؤثرات من أثر هذا وتبقى ماهية تلك المؤثرات خارجة عن نطاق تلك المعرفة بعيدة عن إدراكها حيث إن طبيبة تركيب العقل من هبولى وصورة تمحول بينه وبين إدراك الحقائق الأخرى التي تخالفه في التركيب أو استحليل عليها التركيب فبحال العقل إدن - وإن بدا غير محدود - إلا أنه في الواقع محدود وقاصر كما أن مدركاته كذلك وإن بدت غير محدودة إلا إنها في الحقيقة محدودة وقاصرة^(١) .

ويكفى أن نذكر أن الإنسان مثلاً وإن ادرك وجود فكره أو عقل إلا أنه لا يدرك حقيقة ذلك الفكر والعقل وأنه وإن أدرك وجود محدث له - أو خالق - فهو لا يدرك ماهية ذلك المحدث بل ولا ماهية صفاته^(٢) . بل إن الإنسان لا يدرك ماهية السعادة ولا الشقاء^(٣) . كما لا يدرك ماهية الإرادة والعلم - القدرة والسمع والبصر والكلام والذوق والشم واللمس والأحلام ، وغيرها من المعقولات ، وهو كذلك لا يدرك كثيراً من أسرار الغيب مثل حقيقة الفراسة وكيفية تأثير العين وكيفية تأثير الرقبة والتحصين وكيفية حياة الشهداء بعد

(١) عبد الرحمن بدوى : فلسفة العصور الوسطى ص ١٣٥ وتوما لاركونى : الخلاصة اللاهوتية .

(٢) إميل نوترو : العلم والدين في فلسفة المعاصرة ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ص ٢٢٩

(٣) يوسف موسى : بين الدين والفلسفة ص ١٠٥ نقلاً عن كتاب ابن رشد والرشدية .

موتهم وقبل البعث بل وماهية الوحي وكيमितه وحقيقة الملك والشيطان وماهية الوسوسة وكيهيتها ، وما إلى ذلك . من الحقائق الدينية التي أشارت إليها الكتب السماوية وأكدها أقوال الأنبياء ودلت عليها التجارب وأبرزها الأثر المحسوس أو العقول .

وسائل المعرفة :

إن كل تلك الحقائق تسمو على مجال العقل وتعز على إدراكه^(١) وإن محاولة منه لإدراكها هي محاولة فاشلة يرتد العقل منها وهو حسير ؛ ذلك لأن مرد تلك المعارف راجع إلى النفوس البشرية ، وهذه ذات وسائل مختلفة في إدراك المعرفة فمنها ما هو :

١ — عاجز بالطبع عن الوصول إلى الإدراك الروحاني فينقطع بالحركة إلى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة والواهمة على قوانين محصورة وترتيب خاص تستفاد به العلوم التصورية والتصديقية التي هي مجال للفكر وكلها خيالي منحصر نطاقه إذ هو من جهة مبدئية ينتمى إلى الأولويات ولا يتجاوزها وإن فسد فسد ما بمدها وهذا هو في الأغلب نطاق الإدراك البشري الجسماني الذي تحدثنا عنه في الاطار الأول وإليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ أقدامهم^(٢) .

(١) محمد يوسف موسى : بين الدين والفلسفة ص ١٠٥ وتهافت التهافت لابن رشد

س ٢٥٥ ، ٥٨١

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٩٣

ثانيها صنف متموجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني بالإدراك الذي لا يفتقر إلى الآلات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق إدراكه عن الأوليات التي هي نطاق الإدراك الأول البشري ، ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدان كلها لانطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها ، وهذه مدارك العلماء الأولياء أهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة في البرزخ^(١) وهذا النوع من الإدراك يسمى بأسماء مختلفة منها :

(أ) العلم اللدني

(ب) الإدراك المباشر

(ج) الإدراك الحدسي

(د) الكشف

(هـ) الإلهام

وهذه كلها على اختلاف ألفاظها تعنى مدلولاً واحداً نثقال المعرفة فيه إلى الذهن العارف عن طريق الإلهام والتنوير^(٢) .

الفراسة :

ثالثها صنف أكسبته الحنكة والتجربة وأتاح له الصفاء الفكرية القدرة على الفراسة فاتخذها وسيلة الإدراك ، وصار يعرف بها أخلاق الناس من أحوالهم الظاهرة كالألوان والأشكال تأسياً بقوله تعالى : إن في

(١) نفسه ص ٩٣

(٢) د. أبو ريان : أصول الفلسفة الاشرافية ص ٣٠٠ .

(٧ - الحياة الفكرية)

ذلك لآيات المتوسمين . وقوله أيضا : تعرفهم بسيماهم . وبقول رسوله
ضلي الله عليه وسلم : اتقوا فراسة المؤمن^(١) .

وهذا النوع من الإدراك يشترك فيه الأولياء كما يشترك فيه خاصة
المؤمنين حيث تكون وسيلة المعرفة للأوليين نابعة من الكرامة وإصابة
الظن والحدس ووسيلة المعرفة للآخرين نابعة من علم كسبي عماده الدلائل
والتجارب والخلق والأخلاق .

ولابن سينا كما لغيره تصنيف في هذا النوع من الإدراك^(٢) على
أن أشهر من عرفوا بممارسته :

١ - امرأة العزيز حيث دلتهما فراستها على أن سيدنا يوسف
عليه السلام سيأسر لب غيرها من النساء كما أسر ليهما فصدقت فراستها
وباغ من إعجاب النساء به مبلغا أنساهن أنفسهن حيث قطعن أيديهن
مما كن يحملنه من سبكاكين^(٣) .

٢ - ابنة سيدنا شعيب عليه السلام حيث دلتهما فراستها في سيدنا
موسى أنه قوى أمين وزوج موفق فصدقت فراستها فيه^(٤) .

٣ - سيدنا أبو بكر حيث دلته فراسته على أن سيدنا عمر رضي الله

(١) لسان العرب فصل الفاء حرف السين مادة (فرس) ج ٨ ص ٤٠ وراجع أيضا

عن الترسة ، حاشي خليفة : كشف الظنون مجلد ٢ عمود ١١٠٢٤١ - ١٢٤٢

(٢) حاشي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب وللظنون مجلد ١ عمود ٨٧٩

وله رسالة أخرى فيها راجع نفس المرجع والمجلد والعمود .

(٣) يوسف ٣١ ، لسان العرب فصل الفاء حرف السين ج ٨ ص ٤٠

(٤) القصص ٢٦ ، لسان العرب فصل الفاء حرف السين ج ٨ ص ٤

عنه أكثر الصحابة أهلية لأن يقول بخلافه المساهين من بعده فكان أن صدقت فراسته فيه (١).

رابعها : ومنها ما أكسبه النوم تحورا من أسر البدن وقواه وخواسه فخفت تبعا لذلك شواغله فلم يعد يحجبه عن المعرفة حاجب الحس ولا يصدده عن الإدراك الحقيقي غلاف البدن .

هذا الإدراك المذكور أو المعرفة المشار إليها تتفاوت قوة وضعفا ووجلاء وغموضا باختلاف حال الرأى وشفافية روحه :

والناس في ذلك أصناف ثلاثة : الأنبياء والأولياء وعامة الناس .

رؤيا الانبياء :

أما الأنبياء فرؤياهم كلها صادقة صدق فلق الصبح (٢) وهى عندهم مصدر أساسى من مصادر المعرفة لأنها لا تنبثق إلا عن قلب يقظ واع لا يدركه النوم إذا أدرك العين، ولا ننال منه انغفلة إذا غشيت غيره (٣).
والأنبياء كما يطالبون بتبليغ الوحي أو ترجمته إلى عمل محسوس كذلك يطالبون بتبليغ الرؤيا أو ترجمتها إلى عمل مشاهد محسوس .
والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها :

١ - رؤيا سيدنا إبراهيم عليه السلام « فقد أتيتى عليه الله تعالى ،

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ، لسان العرب فصل العاشر حرف السين - ٤ ص ١٠٠ .

(٢) جاء في صحيح البخارى ج ١ ص ١٢٩ في باب التعمير، وأول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي ما أتى . عن عائشة رضى الله عنها قالت أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، الخ الحديث .

(٣) كما جاء في صحيح البخارى ما أتى ج ٢ ص ٩ : ثنم عيناى ولا ينام قلبى .

ونظمه في سلك الحسينين لأنه صدق الرؤيا التي رآها وترجمها إلى عمل محسوس .

والرؤيا مشهورة ومعروفة عند أصحاب كل الديانات (١) فلن أطيل الحديث بذكرها ويكفي أن أذكر فقط ما ورد في القرآن ، بشأنها يقول تعالى : « قال إني ذاهب إلى ربي سيهدين . رب هب لي حكماً وألحقتني

(١) جاء في سفر التكوين . الإصحاح الثاني والعشرون من العهد القديم ما يأتي :
وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال يا إبراهيم فقال هاأنذا فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك فسكر إبراهيم صابحا وشد على حماره وأخذ اثنين من غلماناه معه واسحق ابنه وشقى حطبا ليحرقه وقام وذبح الموضع الذي قال له الله في اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر للموضع من بعيد فقال لإبراهيم لعلنا هنا مع الحمار وأما أنا والعلام فندهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليك فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضع على اسحق ابنه وأخذ بيديه النار والسكين فذبحا كلاهما . وكلم اسحق إبراهيم أباه وقال يا أبي قال هاأنذا يا ابي قال هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف المحرقة فقال إبراهيم الله يرى له الخروف المحرقة يا ابي فذبحا كلاهما معا .
فلما أتيا إلى الموضع الذي له قال الله بي هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب ورتب اسحق ابنه ووضع على المذبح فوثق الحطب ثم مناد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم . إبراهيم فقال هاأنذا فقال لا تمد يدك إلى العلام ولا تفعل به شيئا لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك لك وحيدك على فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرونيه . فذبح إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده المحرقة عوضاً عن ابنه فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع بعمرة إبراهيم ، حتى أنه ليقال اليوم في جبل الرب يري .

ونادى ملاك الرب لإبراهيم ثانياً من السماء وقال بذاتي أقسمت يقول الرب لى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك لابنك وحيدك بأبركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كسحوم السماء وكأرمل الذي على شاطئ البحر ويرث نسلك باب أعدائه وتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولى . ثم رجع إبراهيم إلى غلاميه فقاموا وذبحوا معاً لى بئر سبع ، وسكن إبراهيم في بئر سبع .

ياالمصالحين . فبشرناه بسلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى ابنى ارى
فى المنام ابنى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعلى ما تؤمر ستجدنى
بئس شاء الله من الصابرين ، فلما أسماوت له للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجى المحسنين . إن هذا هو البلاء المبين .
ووديناه بذبح عظيم . وتبركنا عليه فى الآخرين . سلام على ابراهيم .
كذلك نجى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين «^(١) .

٢ — رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام .

وهذه أيضا أشار إليها القرآن الكريم بقوله « إذ قال يوسف
لأبيه يا ابت ابنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى
ساجدين . قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فىكيدوا لك كيدا
إن الشيطان للاسان عدو مبين^(٢) . »

كما أشار إليها كذلك بقوله : « فلما دخلوا على يوسف آوى إليه
أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . ورفع أبويه على العرش
وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها
ربى حقا^(٣) . »

٣ — رؤيا سيدنا يعقوب عليه السلام :

وهذه أشار إليها الإصحاح الثامن والعشرون من سفر التكوين
حيث جاء فيه ما نصه : فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حارات

(١) الصافات ٩٩-١١١

(٢) يوسف ٤-٥

(٣) يوسف ٩٩-١٠٠

وصادف مكانا وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت وأخذ من حجارة المكان ووضعها تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان ورأى حلاًماً وإذ سلم منضوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهو ذاملائكة صاعدة ونازلة عليها وهو ذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم لبيك وإله إسحق والأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيتها لك ولنسلك ويكون نسلك كثراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض وها أنا معك وأحفظك حيث تذهب وأردك إلى هذه الأرض لأنى لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به .

فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم وخاف وقال ما أرهب هذا المكان ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء ، وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل ولكن اسم المدينة أولاً كان لوز ونذر يعقوب نذراً قائلاً إن كان الله معى وحفظنى في هذا الطريق الذى أنا سائر فيه وأعطانى خبزاً لآكل وثياباً لألبس ورجعت بسلام إلى بيت أبى يكون الرب لى إلهها وهذا الحجر الذى أقامته عموداً يكون بيت الله وكل ما تعطينى فأنى أعتبره لك^(١) .

(١) سفر التكوين : ٢٨ : ١-٧٢

٤ - رؤيا سيدنا سليمان عليه السلام :

وهذه أشار إليها الاصحاح الأول من أخبار الأيام الثاني من العهد القديم حيث جاء فيه ما نصه : في تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له اسأل ماذا أعطيك فقال سليمان لله إنك قد فعلت مع داود أبي رحمة عظيمة وملكتني مكانه والآن أيها الرب الاله ليثبت كلامك مع داود أبي لأنك قد ملكتني على شعب كثير كثراب الأرض فأعطني الآن حكمة ومعرفة لأخرج أمام هذا الشعب وأدخل لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك هدا العظيم ... الخ^(١).

على أن النص السابق ورد بصورة أوضح في سفر الملوك إذ ورد فيه ما نصه . وفي جبعون تجلى الرب لسليمان في الحلم ليلا وقال الله اطلب ما أعطيك فقال سليمان قد صنعت إلى عبدك داود أبي رحمة عظيمة بحسب سلوكه بين يديك بحق وبر وإستقامة قلب معك وحفظت له تلك الرحمة العظيمة ورزقته ابنا يجلس على عرشه كما هو اليوم الآن أيها الرب إلهي أنت ماكنت عبدك مكان داود أبي وأنا غلام صغير السن لا أعرف أن أخرج وأدخل وعبدك فيما بين شعبك الذي اخترته شعب عظيم لا يحصى ولا يعد لكثيرته فهب عبدك قلباً فهما ليحكم بين شعبك ويميز بين الخير والشر لأنه من يقدر أن يحكم بين شعبك هذا الكثير فحسن الكلام في عين الرب لأن سليمان سأل هذا الأمر فقال له الله بما أنك سألت هذا الأمر ولم تسأل أياما كثيرة ولا سألت لنفسك

(١) العهد القديم، الاصحاح الأول من أخبار الأيام الثاني رقم ٧-١٧

الغنى ولم تطالب نفوس أعدائك ، بل سألت لنفسك تمييزاً لتفقه الحكم
وهأنذا قد فعلت بحسب كلامك هأنذا قد أعطيتك قلباً حكيماً فهما . .
واستيقظ سلمان فإذا هو حلم (١) :

٥ - رؤيا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

والرؤى التى وردت بحقه عدة جمع بعضها الإمام البخارى فى صحيحه
تحت عنوان باب التعبير ، وأول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة (٢) .

وكان مما حاء فى ذلك الباب وغيره ما يلى :

(أ) عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريتك
قبل أن أتزوجك مرتين ، رأيت الملك يملكك فى سرقة من حرير فقات له
اكشف فكشف فإذا هى أنت فقلت إن يكن هذا من عند الله يمضه ثم
أريتك يملكك فى سرقة من حرير فقات اكشف فكشف فإذا هى أنت ،
فقلت : إن يكن هذا من عند الله يمضه (٣) .

(ب) إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابنين (٤) .

(ج) إني قد رأيت فى منامى بقرا تذبح حونى فولنها خيراً ورأيت
فى ذباب سيفى ثلما فأولنه هزيمة ورأيت كائى أدخلت يدي فى درع حصينة
فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم (٥) .

(١) سفر الملوك الثالث ٣ : ٥ - ١٥

(٢) صحيح البخارى ج ٩ الصفحات ٢٩ فما بعدها إلى ص ٤٦

(٣) نفسه ج ٩ ص ٣٦

(٤) اللابان حرتان تكسبناهما الواحدة لابة وهى الحرة ذات الحجارة السود راجع

لسان العرب . (٥) صحيح البخارى معجم الأعلام ص ٦٦

(د) وروى كثير من المفسرين عند تفسيرهم لقوله تعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، مايلي :

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل خروجه إلى المدينة أو بالحديبية أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا . وقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم وقالوا إن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وناس معه والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام . فأنزل الله الآية الكريمة : لقد صدق الله ورسوله الرؤيا الحق ، أيؤكد لهم صدق رؤيا الرسول عليه السلام وليطمئنهم بأنهم داخلوا المسجد الحرام حتماً^(١) .

رؤيا الأولياء :

أما رؤيا الأولياء فهي وإن كانت تقل عن رؤيا الأنبياء إلا أنها كذلك تعد مصدرا من مصادر المعرفة ولونا من ألوان الإدراك البشري .

وعلى الرغم من أن الأحاديث النبوية التي وردت في شأن الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له لم تحدد النسبة المئوية لصدق تلك الرؤيا — بالمقارنة لرؤيا الأنبياء فهي كما جاء في الأحاديث إما :

١ — جزء من ثلاثة وأربعين جزءا من النبوة .

(١) أبو حيان : التفسير الكبير المسمى بالدر المحبط ج ٨ ص ١٠١ ط ١٣٢٨ هـ .
مصر : مطبعة السعادة . وتفسير البضاوى ص ٤٩١ طبع المطبعة البهية المصرية سنة ١٩٣٥ م .
والصاوى على الجلائن ج ٤ ص ٨٨ طبع عيسو، البابى الحلبي .

٢ — أو جزء من سبعمين جزءاً من النبوة .

٣ — أو جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

على أنها إن كانت هذه أو تلك^(١) أو أقل أو أكثر^(٢) فهي .
لا شك من المبشرات والمبشرات هي الحلقة الواصلة بين الإدراك
النبوي وإدراك الأولياء أو الرجال الصالحين . جاء في الحديث لم يبق
من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له . قالوا :
وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح
أو ترى له^(٣) .

هذا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشجع أصحابه كل يوم^(٤)

(١) راجع صحيح البخارى ج ٩ ص ٣٠ — ٣١ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٥٢ — ٥٤
ومقدمة ابن خلدون الصفحات ٩٨ — ٩٩ — ٤٥٠ و د . ابراهيم ابراهيم هلال :
نظرة المعرفة الإشراقية وأثرها في النظرة إلى النبوة ج ١ ص ١٣٨ فما بعدها وقد
ورد في نسب الصنعة إشارة إلى روايات أخرى في الحديث تبدأ بأربعة وعشرين وتنتهى
بسته و... .

(٢) جاء في مقدمة ابن خلدون ص ٩٨ مايلي : وليس العدد في جميعها مقصودا بالذات
ولأنما المراد الكثرة في تفاوت هذه المراتب . على أن صاحب كتاب نظرية المعرفة
الإشراقية يرى أن المراد وصل ما بين الرؤيا الصادقة والنبوة بهذه العوارق اليعينية
ج ١ ص ٩٣٨

(٣) صحيح البخارى ج ٩ ص ٣١ ونصها فيه : نأب المبشرات . حدثنا أبو اليمان
أخبرنا شعيب عن الزهري حدثني سعد بن المسيب أن ابا هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا : وما المبشرات ؟ قال :
الرؤيا الصالحة وراجع أيضا ابن خلدون المقدمة ص ٩٩ ، ٤٥٠ .

(٤) جاء في المقدمة ص ٤٥٠ ما يأتي : وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انفتل
من صلاة العداة يقول لأصحابه : هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا .

على إراز هذا النوع من المعرفة قائلا : هل رأى أحدكم من رؤيا^(١) مريدا بذلك على حد تعبير ابن خلدون أن يستبشر بما وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين وإعزازه^(٢) .

وقد كان أحيانا يتبع السؤال بذكر الرؤيا التي حدثت له مساء يومه السابق^(٣) كما أنه كان يقف أحيانا من تعبير بعض الرؤى موقف المصدق أو موقف المكذب ، والخبر إنما يوصف بالصدق أو الكذب إن كانت له حقيقة خارجية تطابقه أو لا تطابقه أما إن لم تكن له حقيقة فإن وصفه بالصدق أو الكذب يصبح لاغيا وغير ذي معنى .

جاء في صحيح البخارى أن رجلا أتى رسول صلى الله عليه وسلم فقال إنى رأيت الليلة فى المنام طلة تنظف السمن والعسل فأرى الناس يتكفون منها فالمستكثر والمستقل وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلمت ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فانهقطع ثم وصل .
فقال أبو بكر يا رسول الله بأبى أنت وأمى لتدعنى فأعبرها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عبر .

قال : أما الظلة فالإسلام .

(١) صحيح البخارى ج ٩ ص ٤٤

(٢) ابن خلدون المقامة ص ٤٥٠

(٣) صحيح البخارى ج ٩ ص ٤٤ - ٤٦

وأما الذى ينظف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنظف
فالمستحب أكثر من القرآن والمستقل .

وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذى أنت
عليه تأخذ به فيعلمك الله ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلمو به ثم يأخذ
رجل آخر فيعلمو به ثم يأخذ رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلمو به .
فأخبرنى يا رسول الله بأبى أنت أصبت أم أخطأت ؟ قال النبى صلى الله
عليه وسلم : أصبت بعضا وأخطأت بعضا .
وقال : فوالله لتجدننى بالذى أخطأت .
قال : لا تقسم (١) .

أما القسم الثالث والأخير فهو الأحلام أو أضغاث الأحلام (٢)
كما اصطلاح على تسميتها (٣) وهذه تختلف عن غيرها من أقسام الرؤى فى
أنها باطلة أو على الأصح أن تصديق الواقع لها غير ضرورى وإنما هو
اتفاق ، احتمال عدم حدوثه طبيعى بينما احتمال حدوثه غير طبيعى .
وقد نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحلام إلى الشيطان بينما
الرؤيا الصالحة إلى الملك ورؤيا الأنبياء إلى الله فقال :
الرؤيا ثلاث ، رؤيا الله من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من
الشيطان (٤) :

(١) صحيح البخارى ج ٩ ص ٤٣ - ٤٤

(٢) الصفح قبضة حشيش محتاطة الرطب باليابس وأضغاث الاحلام الرؤيا التى لا تصح
تأويلها لاختلاطها ، فصل الضاد باب الشام من مختار الصحاح .

(٣) صحيح البخارى ج ٩

(٤) النص أحلام منقول من مصدر ثانوى هو . قصة ابن خلدون ص ٤٥١

يقول ابن خلدون : فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر إلى تأويل ، والتي من الملك هي الرؤيا بالصادقة التي تفتقر إلى التعبير، والرؤيا التي من الشيطان هي الاضغاث .

سبب المعرفة عن طريق الرؤيا :

هذا والرؤيا عموما من الغموض بحيث لا يدرك الكثير عنها، شأنها في ذلك شأن النوم ومن ثم اختلفت الآراء حوله وحوها فهناك من يرى :
١ - أن الرؤى والأحلام^(١) نسيج من التذكارات المحدودة أو المهمة حيث أن موضوعاتها تقابل عما يزاوله الإنسان من الأعمال المألوفة وهي تتعلق بأشياء واضحة أو غامضة وبأشخاص معروفين أو مجهولين :

على أنه إن كانت هذه أو تلك فهي تتأثر تأثرا واضحا بمركز الإدراك الحسى .

فن الأحلام ما يتألف من أمور تلمس أو تسمع أو تشم أو تذاق ، ومنها ما يتألف من جميع هذه العناصر أو من بعضها ، وأنذر الأحلام ما يتألف من أمور تذاق أو تشم

فالحلم الذي تتألف أجزاؤه من أمور رآها الحالم في يقظته - وهو

ما يعرف بالحلم البصرى - منسب به تنبيه جانبا من مركز البصر في الدماغ

(١) جاء في معجم الأعلام ما يأتي : أطلقت كلمة الرؤيا والجمهر رؤى على الأحلام لأن

أكثر الأحلام أحلام بصرية أي تتألف في الغالب من أمور رآها صاحب الحلم في اليقظة . فكانت هذه التسمية من قبيل تسمية السكك باسم البعض وهذا دليل على الحاسة الصر

من الشأن الكبير في أمورنا اليومية ص ٣٨

بعض للتبنيه حيث تبقى سائر أجزاء المركز في راحة وسكون - وما يصدق على مركز الحواس الأخرى السمع والذوق والشم واللمس وغيرها (١).

٣ - إن السبب في كون الرؤيا مدركاً من مدارك الغيب هو أن الروح القلبي وهو البخار اللطيف المنعش من تجويف القلب للحمى ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن وبه تكمل أفعال القوى الحيوانية وإحساسها فإذا أدركه اللال بكثرة التصرف في الاحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشى سطح البدن ما يغشاه من برد الليل تخنس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبي فيستجم بذلك لمعاودة فعله ، فتعطلت الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم .

ثم أن هذا الروح القلبي هو مطية للروح العاقل من الإنسان والروح العاقل مدرك ما في عالم الأمر بذاته إذ حقيقته وذاته عين الإدراك وإنما يمتنع عن تعقله للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه ، فلو قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع إلى حقيقته وهو عين الإدراك فيعقل كل مدرك فإذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد له من إدراك لحظة من عائلته بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغل الناس الظاهر كلها وهي الشغل الأعظم فاستعد لقبول ما هناك من المدارك اللاتقة من عائلته ، وإذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجع إلى يده إذ هو مادام في يده جسماني لا يمكنه

(٢) أسير وجمري : معجم الأحلام وراجع الأحلام وتفسيرها العاني ص ٥٣ - ٥٤

التصرف إلا بالمدايرك الجسمانية والمدايرك الجسمانية للعلم إما هي الدماغية
والتصرف منها هو الخيال فانه ينتزع من الصور المحسوسة صوراً
خيالية ثم يدفعها إلى الحافظة تحفظها إلى وقت الحاجة إليها عند النظر
والاستدلال ، وكذلك تجرد النفس منها صوراً أخرى نفسانية عقلية
فيترقى التجريد من المحسوس إلى المعقول والخيال واسطة بينهما ، ولذلك
إذا أدركت النفس من عواملها ما تدركه القدرة على الخيال فيصوره
بالصورة المناسبة له ويدفعه إلى الحس المشترك فيراه النائم وكأنه محسوس
فيتنزل المدرك من الروح العقلي إلى الحسي والخيال أيضاً واسطة^(١) .
على أن هذا لا يعنى أن نتائج هذا النوع من الإدراك متساوية أو
متطابقة إذ هناك :

(أ) إدراك مصدره الصور المتنزلة من الروح العقلي .

(ب) إدراك مصدره الصور التي أودعها الخيال في الحافظة حين
اليقظة .

وللتفريق بين النوعين السابقين اصطلح على تسمية الأول عند
المسلمين بالرؤيا والثانى بأضغاث الأحلام^(٢)

هذا والإدراك الأول يتفاوت قوة وضعفاً بتفاوت قوة الإدراك
عند المدرك ، فالأنبياء - كما ذكرت - تطابق رؤياهم الواقع مطابقة تامة

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٩٩ ، ١٠٠

(٢) نفسه ص ٤٥١

بينما تنزل عدة درجات منهم رؤيا الأولياء. بل ومن رزقوا شفافية في الروح واعتاقا من أسر البدن .

• تلك هي أسباب الرؤى وتعليقاتها ، وهي كما ترى تتلون بتلون . فسكر الكاتب وثقافته واتجاهه الفلسفي .

فالنص الأول — كما هو واضح — يميل فيه صاحبه إلى تفسير الرؤى أو الأحلام تفسيراً مادياً عمادة الحواس ، بينما يجمع صاحب النص الثانى بين التفسير المادى والتفسير الروحى متخذاً من الخيال حلقة وصل يربط بها بين التفسيرين .

٥ - الوحي :

القول الجامع فى معنى الوحي أنه الإعلام الخفى السريع الغايب عن يوحى إليه بحيث يخفى على غيره . . وهو أنواع نذكر منها :

أ - الإلهام الغريزى كالوحي إلى النحل الذى أشار إليه جل وعلا بقوله « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر وبما يعرشون »^(١)

ب - الأمر كالذى ورد فى قوله تعالى : « يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها »^(٢) .

ج - إلهام الخواطر بما يلقى الله فى روع الانسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسى الذى أشار إليه جل وعلا بقوله :

(١) النحل ٦٨

(٢) الزلزلة ٥

« وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم^(١) »
وكالذي أشار إليه أيضاً بقوله : « ولقد مننا عليك مرة أخرى .
لذا أوحينا إلى أمك ما يوحى . أن ادفنيه في التابوت فاقدفيه في اليم
فليلقه اليم بالساجل^(٢) .

د- الإعلام كالذي ورد في قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه
الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه
ما يشاء^(٣) » .

هـ - الإيماء والاشارة كالذي ورد في قوله تعالى : « فأوحى إليهم أن
سبحوا بكرة وعشيا^(٤) » .

و- الإسرار كالذي ورد في قوله تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول
غورا^(٥) » .

ز- إلقاء المعنى في القلب أو النفث في الروح كالذي ورد في قوله
تعالى : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا
إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب
ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً^(٦) » .

(١) القصص ٧

(٢) طه ٣٨

(٣) الشورى ٥١

(٤) مريم ١١

(٥) الأعمام ١٣

(٦) الأنبياء ١٦٣.....

(٨ - الحياة العسكرية)

وهذا الأخير قصر على الأنبياء لا يشاركونهم فيه غيرهم فهم منفلطرون على الانسلاخ من البشرية وجملة جسمانياتها وروحانياتها إلى الملائكة من الأفق الأعلى بحيث يصير الفرد منهم في لحظة من اللحظات ملصكا بالفعل ويحصل له شهود الملائكة الأعلى في أفعالهم وسماع التكلام النفساني والخطاب الإلهي في تلك اللحظة^(١) فيدرك أثناء ذلك إدراكا لا يماثله إدراك البشر ويتملى معرفة لا تماثل معرفة البشر ويستخدم وسيلة في المعرفة والادراك لا يعلم عنها الناس شيئا؛ ذلك لأنها فوق طاقة عقولهم وأسمى من وسائل معرفتهم .

(١) ابن خلدون ، المقدمة ص ٤٤

ثبت المراجع

ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى ٦٣٠ / ٧١١ :

لسان العرب

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانتباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة طبعة مصورة من طبعة بولاق على تصويبات وفهاريس متنوعة .

حاجى خليفة :

كشف الظنون على أساس الكتب والفنون

ابن قتيبة :

الإمامة والسياسة

الهدد القديم :

جمعية التوراة الامريكية ، جمعية التوراة البريطانية والاجنبية ، طبع -

القاهرة ١٩٣٨ م

الهدد الجديد :

جمعية التوراة الامريكية جمعية الثورة البريطانية والاجنبية ، طبع

القاهرة ١٩٣٨ م

أبو حيان :

التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط مصر ، مطبعة المعارف

البيضاوى :

تفسير البيضاوى

طبع المطبعة البهية المصرية سنة ١٩٠٥

دكتور مذكر ويوسف كرم

دروس فى تاريخ الفلسفة

مطبعة مذكور وأولاده مصر ١٩٥٤

محمد رشيد رضا :

الوحي المحمدي

الطبعة الثانية ١٣٥٢ هـ مطبعة المنار بمصر

محمد كمال جعفر :

دراسات فلسفية وأخلاقية

نشر مكتبة دار العلوم القاهرة ١٩٧٧ م

دكتور إبراهيم هلال :

نظرية المعرفة الإشرافية وأثرها في النظرة لملى النبوة

نشر دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٧

دكتور محمد كمال إبراهيم جعفر :

من قضايا الفكر الإسلامى دراسة ونصوص

مكتبة دار العلوم القاهرة ١٢٩٨ / ١٩٧٨ م

غفر الدين الرازى :

أساس التقديس طبع القاهرة (غفل من التاريخ)

الدكتور يحيى هريدى :

مقدمة فى الفلسفة العامة

الطبعة السادسة القاهرة دار النهضة العربية ١٩٧٠ م

الدكتور سعيد إسماعيل على :

الفلسفة

طبع القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م

موسسيه :

الفلسفة النظرية ترجمة نعمة الله كرم

الدكتور محمد فتحى شنيطى :

المعرفة

الدكتور إمام عبد الفتاح إمام :
مدخل إلى الفلسفة - القاهرة الطبعة الثالثة
دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٥

١ - س . رابورت :

مبادئ الفلسفة ترجمة أحمد أمين

يوسف كرم :

تاريخ الفلسفة العامة

دكتور سايمان دنيا :

التفكير الفلسفي الإسلامي

مكتبة الخانجي ، مصر الطبعة الأولى ١٣٨٧/٥/١٩٦٧ م

مطبعة السنة المحمدية

محمد بدر :

تاريخ الفلسفة ترجمة حسن حسين

المطبعة المصرية الطبعة الثالثة (غفل من التاريخ)

ريزيه ديكرت :

مقال عن المنهج ترجمة محمود محمد الخضرى

محمد على مصطافى :

معالم تاريخ الفلسفة

الدكتور إبراهيم منصور والاساتاذ يوسف كرم :

دروس في تاريخ الفلسفة

ديكرت :

مبادئ الفلسفة ترجمة دكتور عثمان أمين

القاهرة ١٩٧٥ دار الثقافة للطباعة والنشر

دكتور عبد الرحمن بدوى :

ربيع الفكر اليوناني

مطبعة النهضة المصرية ١٩٦٩ م

عبد فراج :

الفلسفة التوجيهية

مطبعة مصر ١٩٤٨

محمد جواد مغنية :

معالم الفلسفة الإسلامية ، دار القلم بيروت لبنان ١٩٧٣ الطبعة الثانية

الغزالي :

الاقتصاد في الاعتقاد

نشر مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ١٣٨٢/١٩٦٧

دكتور عبد الرحمن بدوي :

فلسفة العصور الوسطى

الطبعة الثانية مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٩

توما الاكوييني :

الخلاصة اللاهوتية

أمين بن زور :

العلم والدين في الفلسفة المعاصرة

ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الالهواني

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣

دكتور محمد يوسف موسى :

بين الدين والفلسفة

دار المعارف مصر ١٩٥٩

ابن رشد :

تهافت الفلاسفة

ابن خلدون :

المقدمة

الطبعة الثالثة المطبعة الإمبريالية ببولاق سنة ١٣٢٠هـ .

الدكتور توفيق الطويل :

أسس الفلسفة

الطبعة الخامسة ٩٦٧ دار النهضة العربية القاهرة

برتراند راسل :

مشاكل الفلسفة

أحمد أمين :

مبادئ الفلاسفة

عباس محمود العقاد .

التفكير فريضة إسلامية

شارل فرنر :

الفلسفة اليونانية ترجمة نيسير شيخ الأرض

نشر دار الأنوار بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٨

الغزالي :

المنتقى من الضلال تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود مع أبحاث في التصوف

ودراسات عن الإمام الغزالي .

عباس محمود العقاد :

لمبليس

كتاب الهلال

أبو الحسن علي الحسيني :

إلى شاطئ النجاة ترجمة عبد الله عباس الأهوازي الندوي

مارتن هيدجز :

ما الفلسفة ما الميتافيزيقا ، هيلدرن وماهية الشعر ترجمة فؤاد كامل

ومحمود رجب

طبع القاهرة ١٩٧٤ دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة .

فلويد ودارد :

كتاب أئمة العلم والاختراع

الدكتور زكي إسماعيل :

الفلسفة

دار النيل الأزرق للطباعة والنشر مدف الطبعة الأولى ١٩٧٢

جورد :

فصول في الفلسفة ومذاهبها ترجمة الدكتور عطية محمود هنا والدكتور

ماهر كامل

مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦

الشيخ محمد عمده :

رسالة التوحيد

الطبعة السابعة عشرة القاهرة ١٣٧٦ هـ

أحمد أمين :

ضحى الإسلام

كارل إسبرز :

نهج الفلسفة ترجمة الدكتور عادل العوا

دار الفكر دمشق ١٩٧٥ م

الدكتور محمد علي أبو ريان .

أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي

دار الطلبة العرب بيروت ١٩٦٩

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي :

كبرى اليقينات الكونية

الطبعة الثانية دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ٣٩٠ / ١٩٧٠ م

- صحیح مسلم :
صحیح البخاری :
الصابونی :
النبوة والانبیاء
دکتورة أمیره مطر حلبي :
العلسفة عند الیونان
نشر دار النهضة العربیة القاهرة ١٩٧٤
الحارث بن أسد المحاسی :
النصائح مخطوط دار المکتب المصریة
بوسف علی بوسف :
دروس فی تاریخ الفلاسفة
٠ . د . وولف
عرض تاریخى للفلسفة والعلم ترجمة محمد عبد الواحد خلاف مطبعة لجنة
التألیف والترجمة والنشر ١٩٤٤
: القرآن الکریم :
ابن أبی أصیبة :
عیون الانبیاء فی طبقات الاطباء
دیکارت :
مقال عن المنهج — ترجمة محمود محمد الحضری
طبع القاهرة ١٩٣٠م / ١٣٤٨هـ المطبعة السلفية
الدکتور نظمی لوقا :
الحقیقة تنادی الفلاسفة
طبع القاهرة ١٩٧٢
الغزالی :
میزان العمل

دار المعارف بمصر الطبعة الاولى ١٩٦٤

الدكتور محمد على الصابوني :

النبوة والانبياء

محمد أحمد جاد المولى وآخرون :

قصص القرآن

عفيف عبد الفتاح طيارة :

مع الانبياء في القرآن الكريم

الصابوني :

تفسير الجلالين

طبع عيسى البابي الحلبي

اصبירו جسرى :

معجم الاحلام

فهرس الموضوعات

الصفحة-

	مدخل
٥	الفلسفة والحياه
	(الباب الاول)
	تاريخ الحياه العقلية أو نشأة التفكير
	الفصل الاول :
١١	١ - التفكير
١٣	٢ - العقل
١٤	٣ - نشأة التفكير
١٧	الفصل الثاني :
١٩	١ - دعوى المعجزة اليونانية
٢٢	٢ - مكان الفكر اليوناني
	الفصل الثالث :
٢٧	من آثار التعصب للفكر اليوناني
	(الباب الثاني)
٣٧	معالم التفكير
٣٩	تمهيد
٤٠	في إطار الفلسفة
	الفصل الاول :
٤٣	الشك المنهجي
٤٥	قادة الفكر المنهجي
٤٥	١ - سيدنا ابراهيم عليه السلام
٤٦	مواقفه الفكرية

- ٢ — سقراط
مواقفه الفكرية
- ٣ — ارسطو
مواقفه الفكرية
- ٤ — الحارث بن أسد المجاسبي
مواقفه الفكرية
منهجه في المعرفة
- ٥ — الامام محمد الغزالي
مواقفه الفكرية
منهجه في المعرفة
- ٦ — ديكارت
منهجه في المعرفة
الخلاصة
الشك المطلق
تمهيد
نماذج من الشك المطلق
- في نقض القضية الاولى
في نقض الافتراض الاول
في نقض الافتراض الثاني
في نقض الافتراض الثالث
في نقض القضية الثانية
في نقض القضية الثالثة

الفصل الثاني :

الدهشة

الصفحة	
٧١	تمهيد
٧٣	في مجال العلم
٧٤	في مجال الفلسفة
٧٥	الفصل الثالث
٧٧	التأمل والتفكير
٧٧	تمهيد
٧٧	ميدان المعرفة
٧٨	النزعة التأملية
	الفصل الرابع :
٨١	الكلية العمومية
٨٣	تمهيد
٨٤	خطوات الموقف الفلسفي
٨٥	بين النظرية والتطبيق
	الفصل الخامس :
٨٧	الاستقلال أو الحرية الفكرية
٨٩	تمهيد
٩٠	الفلسفة الملتزمة وغير الملتزمة
٩٠	العالم اليقيني في الفلسفة
٩٢	في إطار الدين
٩٣	قوام الفلسفة القلبية
٩٦	وسائل المعرفة
٩٧	الغراسة
٩٩	رؤيا الانبياء
٩٩	١ - رؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام

الصفحة

١٠١	٢ - رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام
١٠١	٣ - رؤيا سيدنا يعقوب عليه السلام
١٠٣	٤ - رؤيا سيدنا سليمان عليه السلام
١٠٤	٥ - رؤيا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
١٠٥	رؤيا الأولياء
١٠٨	الاحلام
١١٢	الوحي

رقم الايداع بدار المكتب ١٩٧٨/٤١٨٠

07

To: www.al-mostafa.com